www.kotobarabia.com

مضامين التربية الشعبية في مجلة "الأستاذ" لعبد الله النديم



مركز البحوث العربية والأفريقية

مضامين التربية الشعبية

فى مجلة "الأستاذ" لعبد الله النديم

تأليف: د.محمد ماهر الجمال

تقديم: عبد الحميد حواس

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

المحتويات

تـصــديـــر **4**

عبد الغفار شكر

عبد ا   النديم: وعى التحرير وتمكين "الثقافة الوطنية" **5**

عبد الحميد حواس

مضامين التربية الشعبية فى مجلة "الأستاذ" لعبد ا   النديم **12**

د.محمد ماهر الجمال

تصدير

يبدو أننا ما زلنا فى حاجة إلى التعلم من رواد النهضة المصرية فى القرن التاسع عشر، أولئـك الذين تحملوا مسئولية طرح قضية التجديد بكل أبعادها وواجهوا فى نفس الوقت أوضـاع الاسـتبداد والاحتلال الأجنبى. من هنا كان اهتمام مركز البحوث العربية بالقاهرة بنشر هذه الدراسـة للأسـتاذ الدكتور محمد ماهر الجمال بكلية التربية جامعة حلوان حول "مضامين التربية الشعبية فـى مجلـة الأستاذ لعبد ا النديم" والتى نقدم لها بالبحث القيم للأستاذ عبد الحميد حواس حول "عبد ا النـديم، وعى التحرير وتمكين الثقافة الوطنية".

طرح عبد ا النديم مبكرا قضايا بالغة الأهمية والحيوية لمستقبل مصر ما زلنا حتى الآن نبحث عن كيفية تحقيقها رغم مرور أكثر من مائة سنة على طرحها مثل قضية الهوية الوطنية وقضية الوحـدة الوطنية والحرية الدينية، والصحف ودورها فى تربية الشعب، والدور التربوى لمؤسسات المجتمـع المدنى فى ترقية المجتمع وتنميته، وثقافة التحرر والاستقلال، وتشجيع الصناعة الوطنية والاهتمـام بتحسين المنتج الوطنى. ولا تقف أهمية هذه القضايا عند حدود المضامين بل تتخطاها إلى أسـاليب التأثير. فقد اختار النديم كما يقول الأستاذ عبد الحميد حواس الرفض لما هو قائم والنهوض لتغييـر يحفزه دوما دافع التحرير: فى تحرير الفرد، وتحرير العقل، وتحرير الوطن. وخاض فى سبيل هـذا التحرير فى شئون الواقع وتفاعل مع مجرياته، فقد كان رجل الممارسة بامتياز، وفى ممارسته؛ ومع تقلبات الأحوال والأحداث التى واجهته، قام بتبديل عناصر المواجهة وسبلها وفقا للأولويـات التـى تفرضها إمكانات الواقع.

وما أشد حاجتنا اليوم أن نتعلم من عبد ا النديم فى الفكر والممارسة وأن نصل بدعوة التحرير إلى أوسع دائرة شعبية ممكنة.

نأمل عزيزى القارىء أن نساهم فى ذلك بنشر هذه الكراسة.

عبد الغفار شكر

تقـــديـــم:

عبد الله النديم
وعى التحرير وتمكين "الثقافة الوطنية"

عبد الحميد حواس

لقد جنت المقارنات التى تناولت إنجاز عبد ا   النديم من نظرة أحادية الجانب على حسن تقدير دور النديم فى حركة المجتمع المصرى الحديث، وعوقت إمكانات الكشف عن مدى عمق هذا الدور واتساعه فى التأسيس للثقافة المصرية المعاصرة. فالدراسات التى انصرفت إلى مشاركة النديم فـى أحداث الثورة العرابية أذابت دوره فى مجمل حركة التاريخ السياسى لهذه الثورة. وبالمثـل ، فـإن الأخرى التى انصبت على إسهامات النديم الأدبية والصحفية حجمت دوره فى إطار التاريخ الأدبـى لعصر الإحياء. ومثل هذا وذاك من التاريخ يفتّت دور النديم ويفقده وحدته، من جهة ، ومـن جهـة أخرى، يدرج هذا الدور ضمن وقائع ماضٍ منقطع عبرته الأحداث الموالية.

كما أن فرادة دور النديم لا تأتى من مجرد جمع عديد الأعمال والمهن التى زاولهـا ، والتـى تشمل: الزجال، الجوال ، المسامر، الشاعر، المعلم ، عضو التنظـيم السـرى، المؤسـس لجمعيـة اجتماعية ومدرسة، الخطيب ومدرب الخطابة ، الكاتب، مصدر الصحيفة ومحررها، خطيب الثورة. فمجرد هذا الجمع والعد يؤدى إلى تشظى الدور، وإلى الإقلال من قدر إسهام صاحبه فى كل من هذه المناشط. وهى النتيجة التى نلمسها فى غير قليل من الكتابات والإشارات التى تناولت النديم، أو فـى الأخرى التى انتقصته أو همشته أو غيبته.

كما أن تمايز دور النديم لم يأت نتيجة لنجاحه فى الانتقال مـن وضـعية النجـار أو القّـران المحتملة- كما كان أبوه- إلى واحد من القيادات التى طفت على السطح الاجتماعى. فهـذا صـعود فردى كان يسمح به الحراك الاجتماعى فى عهده، وآية ذلك الصعود المناظر لعلى مبارك ومحمـد عبده. وعلى هذا الصعود، انصبت بعض المعالجات الدرامية لحياة النديم، مثلما ركز بعضها الآخـر على التصوير البوليسى لقدرة النديم على الاختفاء أو الروغان من ملاحقة السلطة. فمهارة التخفـى يمكن النجاح فيها دون بطولة، وقد يبرز فيها الشطار والمطاريد، فضلاً عن أن هذا الضـرب مـن التصوير يغيّب دلالة التحامه بالناس ومعنى ذوبانه فى خضمهم.

إن هذه الأعمال والنشاطات التى مارسها النديم، والتى قد تبدو موزعـة، ليسـت إلا مظـاهر وأطواراً لوعى فى حالة صيرورة متنامية. وهو وعى شخصية واحدة متكاملة، وإن كانت تنضج من خلال الممارسة وبواسطة الجدل بين الخبرات والمعارف التى يكتسبها وبين مجريات الواقع المعيش. وهو وعى ينتقل من "الحس المشترك العام" ومجرد تحقيق الخلاص الفردى، ليغتنى بنتائج خبراتـه المتراكمة، فيسعى نحو تحقيق فاعلية جمعية تهدف إلى تحرير الوطن، فتعمل على إذكاء وعى أبنائه وجمع إرادتهم وإطلاق طاقاتهم لإقامة مجتمع أكثر رشداً وأوفر كرامة.

والحال، أن أعمال النديم ونشاطاته المتنوعة كان ينتظمها نسق على مسـتوى البنيـة العميقـة. وتنبنى الرابطة بين المسالك والأفكار التى تتفاعل فى هذا النسق على حافز "التحرير"، فقد تشـكلت حياة النديم وتمثّلت وقائعها فى عصر تواكبت فيه وطأة الاستبداد الداخلى مع تغول السيطرة الأجنبية. واختار النديم، فى حياته الشخصية وفى مواقفه العامة، الرفض لما هو قائم والنهوض لتغييره، يحفزه دوماً دافع التحرير. وهو تحرير ذو مظاهر ثلاثة متكاملة: تحرير الفرد، وتحرير العقـل، وتحريـر الوطن. وفى سعى النديم نحو تحقيق هذا التحرير ، لم يتجه إلى التنظير ولا البحث المكتبى، وإنمـا خاض شئون الواقع وتفاعل مع مجرياته، فقد كان رجل الممارسة بامتياز. وفـى ممارسـته، ومـع تقلبات الأحوال والأحداث التى واجهته، قام بتبديل عناصر المواجهة وسبلها وفقاً للأولويـات التـى تفرضها إمكانات الواقع.

غير أن ميول النديم شدته إلى الفن القولى منذ نشأته الأولى؛ إذ إنه عندما اتجه إلى تكوين نفسه ذاتياً، تم ذلك فى الدائرة الأدبية المتاحة له إذ ذاك . وفى هذه الدائرة الأدبية نمى إمكاناته ومعارفـه، وجود قدراته الكتابية والخطابية. ومن ثم أصبحت وسيلته فى المواجهة، وفى التواصـل، هـى فـن القول. وبذا تواشجت حياته ومواقفه مع العمل الثقافى العام. وعندما توفر النديم على العمل الثقـافى لم يكن حسب حرفة يزاولها، بل لأنه سبيل لتحرير العقل واستنهاض إرادة التغيير الجماعية.

وعلى صعيد العمل الثقافى، التقى النديم مع رواد النهضة وافترق. التقى مع "المثقفين الوطنيين" منهم الذين اتجهوا إلى العمل الثقافى باعتباره الحلقة الرئيسة فى تجميع الوعى بالوطن وحفز أبنائـه لتجديد أركانه. وافترق عنهم بحكم تكوينه وممارسته. وافترق عنهم نتيجة لفهمه المختلـف لطبيعـة المرحلة والمهام التى يجب إنجازها، سواء فى مواجهة الأوضاع الداخلية أو فى التصدى للسـيطرة الأجنبية. وافترق عنهم مرة ثالثة بسبب نظرته المغايرة لتوجهات العمل الثقافى، ولأساليب التوصيل ، ولنوعية الجمهور الذى يتغيا الوصول إليه.

لقد أدرك النديم أن حصر خطابه فى دائرة "النخبة العالمة" يغيّر من طبيعة ذلك الخطاب ويحـد من فاعليته؛ لذا اتجه النديم إلى دائرة ثقافية أخرى دأب على توسيعها بانتظام، دائرة كان يعمل على أن تتسع حتى تستوعب أبناء الطبقة الوسطى، الآخذة فى النمو إذ ذاك، بل ويسـعى إلـى أن تتسـع الدائرة أكثر فتضم إليها أبناء الفئات الأخرى إلى أن تشمل الكُلّ الوطنى. فقد كان هؤلاء – فى رأيه – هم المعنيون بهذا النوع من الخطاب الذى يرمى إلى تحرير الوعى ، واستنهاض الإرادة الجماعية للتغيير، وتعزيز الهوية الثقافية الوطنية المهددة باجتياح خارجى والمعاقة باستبداد داخلى .

وهذا التغيير فى استراتيجية الخطاب التحريرى استتبعه – بالضرورة – تغيير فـى أدواتـه وأساليبه. ومن هنا، كانت مثابرة النديم على الإفادة من قنوات التوصيل الأعرض جمهوراً: كالمنابر الخطابية فى الجمعيات والتجمعات المختلفة ، ثم فى القناة الأحدث والأوسع وصولاً وهى الصـحف. ومن هنا – أيضاً – كان حرص النديم على أن يتخذ خطابه أكثر الصيغ فعالية فى التوصيل الواسع، وذلك بتطوير أساليب القول وتنمية أشكال الكتابة. ولذا، جهد النديم فى التخلص من زخارف الصياغة اللغوية وتعمّلاتها ، لكى يكتسب أسلوبه سمات أكثر سلاسة ويصبح تعبيره أكثر شفافية فى إيضـاح مقاصده. وحرصاً على هذا التوصيل الأعرض، اعترف النديم بالازدواج اللغوى القائم فـى الواقـع المعيش ، فتجاورت العامية مع الفصحى فى كتاباته ، بوصفهما أداتين تُؤمنان مضـاعفة التوصـيل وشموله (وإن كان قد اعتبر العامية أداة لغوية مؤقتة فى سبيلها للزوال مع انتشار التعليم وارتقائـه وعند التشارك فى ثقافة وطنية واحدة). وحرصاً – أيضاً – على هذا التوصيل الأعرض لجأ النـديم إلى الإفادة من كل الأشكال الأدبية المتاحة: فاستخدم القصائد والمقطوعات الشعرية ، كمـا اسـتخدم أشكال المقال والمسرحية والحواريات والقصة والمقامة والأمثولة والنادرة الساخرة.

وقد كان أحد نواتج جهد النديم فى تطوير أساليب القول وتنمية أشكال الكتابـة، إسـهامه مـع مجايليه فى التأسيس للتطورات التالية فى الخطاب الأدبى وأساليبه. إلا أن النديم لم يقم بهذا الإسـهام بوصفه كاتباً محترفاً، بقدر ما قاده إلى ذلك سعيه لشق مسالك تُيسر الوصول إلى أوسع الجماهير. فقد كان الوصول إلى جمهوره المعنى، وتبنّي هذا الجمهور للمقولات التى يطرحها خطابه ، هو غايتـه، وتكوين جمهور من المواطنين الفاعلين المجسدين للهوية الثقافية الوطنية هو مطلبه.

وهذا الانشغال بالبشر، ممارسى الثقافة (وليس بالأفكار المجردة، كما يفعل المثقـف التقليـدى والنخبوى) لم يؤثر فى خطاب النديم فقط، بل أفضى – أيضاً - إلى الإسهام فى التأسيس لنمط جديد من الثقافة. وقد أخذ هذا النمط من الثقافة فى التمايز والنمو داخل البنية المركبة للثقافـة المصـرية الحديثة ، ليشكل ما أصبح معروفاً باسم "الثقافة الوطنية".

وتكتسب "الثقافة الوطنية" صفتها الوطنية من خلال عملها على محاور ثلاثة:

(أ) تجميع أبناء الانتماءات المختلفة (الإقليمية ، الطائفية ، القبلية ، العرقية ،..إلخ) حول مفهـوم للاجتماع أرقى هو مفهوم الوطن ، وفك انحباسهم داخل هذه الدوائر الضيقة المغلقة.

(ب)بناء وعى جديد يرى به المواطن لنفسه دوراً فى بناء هذا المجتمع الناهض، وتحرير ذاتـه مـع مواطنيه من القهر الداخلى والعدوان الخارجى.

(ج) توسيع الجمهور الذى يتبنى هذا الوعى الجديد، ويمارس مظاهر هذا الوعى ممثلة فى مكونـات ثقافية تُعَزز الهوية الوطنية.

غير أن إشاعة هذه الثقافة الوطنية وتوسيع جمهورها كان – بالضرورة – يؤدى تداخل دائرة عملها مع المجال الذى يمارس فيه هذا الجمهور ثقافته الجمعية المأثورة (مـا يسـمى بالمـأثورات الشعبية حيناً ، وبالفنون الشعبية حيناً، وبالتراث الشعبى حيناً، وبالفولكلور حينـاً، .. إلـخ). فهـذا الجمهور المعنى – وإن تعددت جماعاته وفئاته ، وتباينت انتماءات كل منها – يشيع بين أفراده نسق من المعارف والأفكار والتصورات والقيم والمثل، ويتواترون أنماطاً من الأعراف وسنناً للسـلوك ، ويتشاركون فى الاستمتاع بألوان من الإبداعات الأدبية والتعبيـرات الفنيـة المـأثورة؛ أى أن هـذا الجمهور له ثقافته المخصوصة، يتشارك فى إنتاجها واستهلاكها، ويمارسها فى سياق ممارسته لنمط حياته. فهى ثقافة قائمة، لها طبيعتها وخصائصها، ولها دورها ووظائفها فى بلورة هوية هذا الجمهور وانتظام طريقته فى العيش، وتشكيل رؤيته للعالم.

ولذا، كان على خطاب الثقافة الوطنية أن يحدد لنفسه منظوراً إلى هذه الثقافة المتواترة بين فئات هذا الجمهور، وأن يتخذ موقفاً لكيفية التعامل معها . وذلك حتى يؤمن لنفسه السّبل التى تُمكّنه من بثّ أطروحاته بفاعلية، ولكى يضمن توصيلها إلى جمهوره المبتغى، بله أن يتقبلها هذا الجمهور ويتبنّاها. وفى هذا الصدد، حلّ البعض المعضلة بحذفها، وذلك بإنكار وجود ثقافة لدى هذا الجمهـور، ترتيبـاً على أن أى جماعة لا تمارس مظاهر الثقافة وفق المعيار الذى يعرفه صاحب هذا الرأى هى جماعة خلو من الثقافة، وهى تعانى من "فراغ ثقافى"، الأمر الذى يدعو الآخرين للقيام بمهمة تبشيرية لملء هذا الفراغ. ولكن هذا الحذف لا يحل المعضلة، وإنما يؤدى إلى انعزال خطاب القائل به وارتداده الى حالة من "النخبوية" الجديدة. وفى الوقت نفسه، حلّ البعض المعضلة بالمزج التلفيقى، بانتقاء عناصر من هنا والتقاط عناصر من هناك تُنتزع من سياقها، وتقدم على أنها العناصر الصـالحة لأن تبقـى ممثلة لامتزاج الأصالة (الفولكلور) بالمعاصرة (المستحدث). ولكن هذا الحل - بدوره – أدى إلـى عزلة من نوع آخر، فضلاً عن إسهامه فى التأسيس للانحراف بالثقافة الوطنية وتحويلهـا إلـى مـا

سينمو – فيما بعد - ونسميه "الثقافة الجماهيرية" (ثقافة الكتل البشرية = ثقافة أفراد يتم تجميعهم حول رأى السلطة السائدة).

ومرة أخرى، يتمايز موقف النديم. لقد وعى النديم أنه يوجه خطابه التحريرى إلى جمهور لديه تكوينه الثقافى المسبق. وتأسيساً على هذا الواقع، اعتبر "الحوار" مع مكّونات ثقافة الجمهور المأثورة هو وسيلة التعامل الصحيحة. ومن هذه الزاوية، يمكننا أن نفهم حفول خطاب النديم بمظاهر الحـوار وتعدد أشكاله وأساليبه التى تُيسر توصيله لجمهوره المبتغى. فهو كان يرمى من ذلك الحوار إلى حفز هذا الجمهور نفسه إلى أن يضع ممارسته موضع الفحص والنقد، وإلى أن يفكر فيها فى ضوء البدائل التى يطرحها خطاب الثقافة الوطنية الجديد.

فالثقافة الجمعية المأثورة، كما كان يمارسها أفراد الجمهور المبتغى، كانت ثقافـة كُلّيـة تضـم ثقافات فرعية لجماعات ذات انتماءات مغلقة (إقليمية، عرقية، طائفية، قبلية)، كما كانت ترتبط بنمط من الإنتاج ووسائله وعلاقاته ضاق عن المتغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى، وباختصـار كانت ترتبط بأسلوب حياة ذى أفق محدود ومغلق. ومن ثم، لجأ النديم فى حواره مع ثقافة جمهـوره المأثورة إلى "تفكيكها" إلى عناصرها ومكوناتها. ليس إعمالاً للنظرة التجزيئية الانتقائية، وإنما بقصد فتح بنية هذه الثقافة المأثورة، وفرز عناصرها المهيمنة، ونقض آلياتها الكابحة. وبالتالى، يصبح ابن هذه الثقافة قادراً على إعادة تقويم معارفه ومدركاته، وتتفتح آفاقه ورؤاه على دوره الفعال فى مجتمع الوطن المتحرر. وهكذا، تنمو الثقافة المأثورة عضوياً، فتستحيل إلى ثقافة التحرير والتنوير الوطنية.

وإذا كانت نشأة النديم، ثم تكوينه، قد مكناه من معايشة الثقافة الجمعية المأثورة ومعاينتها عـن قرب، إلا أن وعيّه وتوجهاته كانا الفيصل فى مواقفه منها. ولهذا، فإنه حين تعامل مع مكوناتها لـم يتوجه إليها بقصد "إعادة إنتاجها" أو "إحيائها"، كما وهمت بعض الدراسات نتيجة ربط مغلـوط مـع نشأته الأولى، أو بسبب الانسياق وراء صفة "الشعبية" التى أضفيت على حياته وأعماله دون تدقيق.

ولعل كل هذا يجعلنا نتفهم لماذا كان النديم، وهو يعمل على تمكين الهوية الثقافية الوطنيـة المتمايزة، لا ينساق إلى تمجيد مظاهر الثقافة الجمعية المأثورة، كما لم يقع تحت وهم المزج الانتقائى التلفيقى بين التقليدي المأثور والمستحدث الدخيل. بل حفلت كتاباته بكثير من النقد والنقض لغير قليل من جوانب الثقافة الجمعية المأثورة، وفى الوقت نفسه استفادت تلك الكتابات من أساليب التوصيل فى الثقافة الجمعية المأثورة، ودمجت تلك الكتابات فى صياغتها أشكالاً من الإبداعات الشفهية وتقنياتها. كما نستطيع أن نفهم استعماله اللغوى المزدوج الذى هدف به إلى التوصـيل المضـاعف اعترافـاً بالانقسام الثقافى القائم. ولكن هذا الاعتراف لا يلغى سعيه لتجاوز هذا الانقسام الثقافى بتخليق وحـدة

ثقافية أرقى. وتتحقق هذه الوحدة الثقافية، وتزدهر، ببناء "الثقافة الوطنية" ثقافة التحريـر والتنـوير، التى يتشارك فيها المواطنون جميعاً، ويتسع وعيهم الإنسانى، ويتعمق، وهم يعملون علـى: تحريـر الفرد، وتحرير العقل، وتحرير الوطن، من القهر الداخلى والعدوان الخارجى.

المصادر : كتابات عبدا النديم

1 – **التنكيت والتبكيت** (نسخة مصورة من أعداد المجلة) مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، 1994 (تقديم د. عبد العظيم رمضان، دراسة تحليلية د.عبد المنعم إبراهيم الجميعى).

2 – **الأستاذ** (نسخة مصورة من أعداد المجلة) مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب، جزءان 1994 (تقديم د. عبد العظيم رمضان، دراسة تحليلية د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى).

3 – **المسامير:** رواية الشريف أبى هاشم عن الشيخ مدين أبى القاسم الشهير بالعارف با ، اعتنى بطبعه الشريف ى.ن.ه.م، الجزء الأول، القاهرة، 1927.

4 – **كان ويكون،** مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1995 (تقـديم د. عبد العظيم رمضان، دراسة تحليلية د. عبد المنعم الجميعى).

5 – **سلافة النديم : فى منتخبات عبدا النديم،** جمع شقيقه عبد الفتاح النديم، مطبعة هندية، مصر، جزءان فـى مجلد واحد (جـ 1، ط2، 1914

ـ جـ2، 1901م – 1319 هـ)

المـراجـع:

1- أمين ، أحمد : **زعماء الإصلاح فى العصر الحديث،** مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.

2- توفيق، نجيب: **عبدا النديم خطيب الثورة العرابية،** مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د. ت)

3- تيمور ، أحمد: **تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر،** ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفى، القاهرة، 1957.

4- الحديدى، على: **عبد ا النديم خطيب الوطنية،** الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

5- حمزة، عبد اللطيف: **أدب المقالة الصحفية فى مصر،** دار الفكر العربى، ط2،جـ2، القاهرة، 1957

6- خاف ا ، محمد أحمد: **عبدا النديم ومذكراته السياسية،** مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1956.

7- دراج، فيصل: الحداثة والوعى التاريخى: قراءة عبد ا النديم ومحمد المويلحى، **قضايا وشهادات،** كتـاب ثقافى دورى، صيف 1990، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، قبرص، 1990.

8- شلش، على: مصر الفتاة، **جمعية سياسية ووطنية إصلاحية،** 1879. مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصـر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990.

9- عيسى، صلاح: **الثورة العرابية،** المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1972.

10- فرهود، محمد السعدي: **النديم الأديب،** المكتبة السعدية، القاهرة، 1976.

11- لاندز، دافيدس: **بنوك وباشوات،** ترجمة د. عبد العظيم أنيس، دار المعارف، القاهرة، 1966.

12- مركز البحوث العربية – الجمعية العربية لعلم الاجتماع: **قضايا المجتمـع المـدنى العربـى فـى ضـوء أطروحات جرامشى،** أبحاث ومناقشات الندوة التى عقدت بالقاهرة فى نوفمبر 1990، مركز البحوث العربية، القـاهرة، 1992.

13- جرامشى، أنطونيو: **كراسات السجن،** ترجمة عادل غنيم، دار المستقبل العربى، القاهرة، 1994.

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة: **عبـد ا النـديم سـيرته مـع ببليوجرافية مختارة**، دار الكتب، القاهرة، 1995.

مضامين التربية الشعبية
فى مجلة الأستاذ لعبد الله النديم

الدكتور: محمد ماهر الجمال
أستاذ أصول التربية المساعد-
كلية التربية- جامعة حلوان

عبد ا النديم حياته وعصره:

ولد عبد ا النديم بمدينة الإسكندرية عام 1845 لأب ترجع أصوله الاجتماعية إلى إحدى الأسر الريفية الفقيرة والذى نزح من القرية سعيا فى طلب الرزق، واشتغل عاملاً بقسم التجارة بالترسانة البحرية. وقد تم تسريح الأب من عمله على أثر صدور فرمان 1841 الذى يقضى بتخفيض الجيش المصرى وإغلاق المصانع الحربية، ولم يجد الأب أمامه إلا أن يفتح مخبزاً لصناعة الخبز وبيعه، إلا أن هذه الحرفة لم ترتفع به عن طبقة الفقراء الكادحين.

وفى هذه البيئة نشأ النديم وتربى، يخالط أفراد هذه الطبقة ويشاركهم نصـب العـيش ومـرارة النضال من أجل القوت.

وعندما شب النديم وأصبح قادراً على التعلم تدرج فى مراتب مؤسسات التعليم الدينى بدءًا مـن كُتاب الحى أو فى الجامع الأنور بالإسكندرية، انتهاء بالجامع الأزهر بالقاهرة والذى خرج منه النديم دون الحصول على الشهادة التى كان يصبو لها.

ولذا لم يتلق النديم الثقافة عن المعاهد الدراسية (إلا لسنوات قليلة)، بل تلقاها فى مدرسة الحياة، مما جعله موسوعياً فى فكره، فكتب فى الأديان والحكمة والتاريخ والأدب والسياسة فضلاً عن التربية [1].

وفى هذا الشأن يتحدث أحمد أمين عن عبد ا النديم فيقول "لو تنبأ متنبىء لقال إنـه سـيكون نجاراً ماهراً، فأما أديبا يملأ الدنيا ويقود الرأى العام ويحسب حسابه فى كل ما يخطه قلمه أو تنطـق به شفتاه فلا يدور بخلد أحد"، ومن هنا ينتقل النديم من وضع النجار المحتمل إلـى وضـع البطـل

الوطنى، حيث انتزع صفة البطولة الوطنية من دخوله إلى عالم الفعل الوطنى المقاتل، والذى يجعـل من النجار بطلاً، ومن فرد فقير التعليم خطيباً للثورة العرابية.

ولذا ينظر فيصل دراج إلى السياق الاجتماعى/ التاريخى باعتباره مرجعاً يقرر معنـى البطـل والبطولة، حيث كان السياق فى زمن النديم مركباً من عناصر متعددة المسيطر فيهـا هـو السـلطة الفاسدة التى ترضخ إلى الاستعمار البريطانى [2] .

وبين ميلاد النديم ووفاته (1845-1896) كان الصراع محتدماً فـى مصـر بـين ظـاهرتين أساسيتين هما:

-بداية التدخل الأجنبى فى شئون مصر مما أدى إلى تفاقم مظاهر الاستبداد والفساد وتفاقم تبعية مصر وخضوعها للقوى الاجنبية فى مختلف شئونها السياسية والمالية والإدارية، والذى وصل ذروته بالاحتلال الإنجليزى لمصر عام 1882.

-فى حين تبدت الظاهرة الثانية فى تبلور فئات اجتماعية متوسطة وصغرى من المثقفين العائدين من البعثات للخارج فضلاً عن التجار والأعيان، وبروز مصالح اجتماعية واقتصادية جديدة متعارضة مع هذا التدخل والسيطرة الأجنبية، وما واكب هذا من نمو وعى عقلانى سياسى ووطنى أخذ يتجذر حتى تجلى أخيراً فى الثورة العرابية التى قامت للتصدى للاستبداد والفساد فى الحكم والتدخل الأجنبى فى شئون البلاد [3] ، ومن ثم فقد شهدت الفترة التى عاشها النديم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تحولات هامة فى تاريخ مصر الحديث، فقد أتت إصلاحات محمد على وإسماعيل ثمارها فـى مجال الجيش والتعليم والانفتاح على العالم الخارجى، ونمت المشاعر الوطنية، وتفتحت الأذهان وبدأ كثير من المصريين يتطلعون إلى عهد جديد يقوم على المساواة وينشد الحرية والحياة الكريمـة [4] ، ولذا شهدت هذه الحقبة مولد العديد من الصحف الرسمية الحكومية والصـحف الشـعبية، وتـراءى للبعض ان فن المقال الصحفى من أمضى الأسلحة فى ميدان الكفاح من أجل الوطن وقضاياه، فمنـذ الاحتلال البريطانى – على أقل تقدير – والصحافة المصرية تدرك أن عليها واجبات وطنية لابد لها من القيام بها مهما كلفها ذلك من جهد أو تضحية، فكان عليها أن تدافع عن المصريين فى الميـدان السياسى، وأن تتصدى لمقاومة المحتلين بكل الوسائل الممكنة، وكان عليها أيضـاً أن تـدافع عـن المصريين فى المجال الدينى ومواجهة بذور التفرقة الدينية بين عنصرى الأمة وفقاً لنهج الاحـتلال. كما كان على الصحافة أيضاً أن تهاجم سياسة التعليم التى وضعها الاحتلال فى مصـر وأن تقـوم بإصلاح ما أفسده الاحتلال من أخلاق المصريين وطباعهم ومنها الخضوع والاسـتكانة والرضـى بالأمر الواقع ورفع الحكام إلى مرتبة الآلهة، ثم كان عليها أن تواصل الدفاع عن اللغة العربية علـى

اعتبار أنها عنوان الشخصية المصرية، وأخيراً كان على الصحافة المصرية أن تحمى ظهر الثـورة المصرية الوطنية فى مراحلها المختلفة [5] .

غير أن صحف هذه الحقبة جميعها – كما يرى الدكتور إبراهيم عبده- لم تبلغ فى مكانتهـا ولا فى خطرها ولا فى إنشائها وتحريرها ما بلغته الصحف التى كان يحررها عبد ا النـديم [6] وفـى مقدمتها صحيفة التبكيت والتنكيت، التى صدر عددها الأول فى شهر يونيو 1881، وعنها يقول النديم إنه أخذ تصريحاً بجريدة التنكيت والتبكيت ولكنه ما اراد إلا التبكيت [7] وأنها "صحيفة أدبية تهذيبيـة تتلو عليك حكماً وآدابا ومواعظ وفوائد ومضحكات بلغة سهلة لا يحتقرها العالم ولا يحتاج معهـا الجـاهل إلـى تفسير، وتصور لك الوقائع والحوادث بصورة ترتاح إليها النفوس وتميل......" [8] ، ثم قامت الثورة العرابية فانتقل النديم بصحيفته إلى الميدان واختار لها أحمد عرابى اسم (الطائف) [9] ، وانتقلت الصحيفة من المقالات الاجتماعية الخالصة إلى الموضوعات السياسية العميقة والأخبـار الهامة التى تميزت بها فى عهد الثورة، وكان من أهم وظائفها الدفاع عن الثورة ورجالها [10] وكان قلم النديم شعلة من نار ولسانه فى خطبه حرباً عواناً [11] وكان من أهم ما اتصـفت بـه صـحيفة الطائف:

1- إقدام النديم على الكتابة بلغة سافرة والتعبير عن أفكار وآراء رجال الثورة بعد أن كان فـى التنكيت والتبكيت يحرص على الحياد والحذر والكتابة بالرمز.

2- حفلت الصحيفة ببحوث قيمة عن حالة الفلاحين وما انتهوا إليه من بؤس وعوزه ودعوة الحكومة للعناية بهم.

3- الـدعوة إلى الإصلاح النيابى فى مصر والذى رأى فيه النديم المدخل إلى الإصلاح السياسى [12] .

وانتهت الثورة العرابية بالفشل واعتقل من زعمائها من اعتقل، فهرب النديم واختفى عن أنظار الحكومة والجمهور زهاء عشر سنوات إلى أن أعلن الخديو اسماعيل حلمى الثانى العفو عنه فعاد إلى الظهور وأصدر صحيفته الثالثة (الأستاذ) فى أغسطس 1892 بهدف "التهذيب والتأديب وإصلاح مـا فسد من بعض الأخلاق والإرشاد إلى مكارم الأخلاق وإحياء الصناعة والزراعة والتجـارة ومنـع التخاذل والتضاغن الراجعين بأية أمة حلا بها القهقرى" [13] .

وهكذا كان النديم أستاذاً للشعب على صفحات مجلة الأستاذ، يتحدث عن التعلـيم وأثـره فـى إصلاح المجتمع، فكان معلماً للشعب فى محاوراته بالصحف وحريصاً على أن يتعلم ابنـاء مصـر الحرية والكرامة وأصول الوطنية [14] ، وقد ساعده على ذلك ممارسته التدريس كمهنة فـى بعـض

فترات حياته من بين عديد المهن التى مارسها، - وعن هذه الفترة يقول أحمد شفيق باشا فى مذكراته:".... علمت فى أوائل سنة 1880 أن أحد الأدباء أنشأ مدرسة بشارع رأس التين لتعليم اللغة العربية بأسلوب عصرى جديد، فزرت المدرسة وحضرت بعض الدروس، فسررت بطريقته لأنها جذابة سهلة المأخذ على الأطفال وتعلمهم القواعد فى شكل محاورات مسلية لذيذة، وشكرته على عنايته بالناشئة وأثنيت على مجهوده وطريقته الجديدة" (15) – فضلاً عن خبراته الثرية بجوانب الحياة والتى اكتسبها من الجلوس إلى كبار العلماء والمجددين مثل الأفغانى، ومن القراءة فى بطون الكتب والحكمة الشعبية التى اكتسبها من تجواله فى القطر المصرى وبعض أقطار المشرق أو فى سنوات اختفائه العشر.

وإذا كان النديم تكفل بأن يقوم بدور الاستاذ للشعب فقد كان ذلك لتوافر الوعى لديه بأهمية تربية الشعب ومفهوم هذه التربية وتصور واضح ومحدد لمحتوى ومنهج هذا النمط من أنماط التربية، التى كان محورها تحرير الإنسان المصرى، وهو تحرير ذو أبعاد ثلاثة متكاملة، "تحرير الفرد، تحرير العقل، وتحرير الوطن" (16) ، وكانت الصحف التى اصدرها النديم تباعاً أداته لتحقيق هذا ولنشر افكاره وآرائه التربوية، وكانت مجلة الأستاذ على رأس هذه الصحف بما حفلت به صفحاتها من رؤى تربوية محددة المعالم، واتفاقًا مع الاعتبارات التى أوردها الدكتور محمد عمارة، كانت مجلة الأستاذ مناط اهتمام البحث الحالى وذلك للأسباب التالية:

1-أن مجلة الاستاذ آخر الأعمال الفكرية لعبد ا النديم، وفيها تجسد الموقف الأخير الذى انتهى إليه، وخُتمت به رحلته الثقافية، وبالتالى تمثلت فيها مرحلة نضجه الفكرى، كما تناثرت على صفحاتها خلاصة تأملاته فى سنوات اختفائه العشر.

2-ما تميزت به حقبة صدور الأستاذ من بعد عن ملابسات التعبئة الوطنية الحادة التى تميزت بها الثورة العرابية وكتابات النديم أثناءها.

3-إن المجلة كانت ميداناً من ميادين المواجهة مع المنابر الثقافية والفكرية والسياسية التى مثلت "الآخر الثقافى" فى ذلك التاريخ، وعلى رأسها "المقتطف" و"المقطم" اللذين تمثلت فيهما حملة الترويج لمذاهب الغرب والسياسة الاستعمارية.

4-سعة انتشارها، حيث فاق انتشارها وتوزيعها كل الصحف المصرية فى عصرها مثل الهلال، الأهرام، المقطم، والمقتطف (17) .

5-أن العديد من كتابات النديم فى مجلة الأستاذ كانت ذات صبغة تربوية، بل إن الكثير منها حمل عناوين تربوية صريحة مثل "تربية البنات"، "تربية البنين"، "مدرسة البنات"، "المربى".....

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث الحالى حول مضامين التربية الشعبية فى مجلة الأستاذ فى إطار الفكر التربوى لعبد ا النديم، وفى سياق المناخ السياسى والثقافى الذى أفرز هذا الفكر وأثر فيه وتأثر به، ومن ثم تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن الأسئلة التالية:

1-ما مفهوم وأهداف ووسائط التربية الشعبية عند النديم؟

2-ما مضامين التربية الشعبية فى مجلة الأستاذ لعبد ا النديم؟

منهج البحث:

تستخدم الدراسة منهج البحث التاريخى، وفى إطار هذا المنهج تتم دراسة وتحليل الوثائق والمصادر الأولية التى حوت آراء وفكر النديم التربوى من صحف ومجلات وكتب وغيرها، فضلاً عن الرجوع إلى المصادر الثانوية المتمثلة فيما كتب عن النديم وعصره.

كما تستخدم الدراسة منهج البحث الوصفى، وأسلوب التحليل الفلسفى لكتابات وإصدارات النديم عامة ومجلة الأستاذ خاصة، بحثاً عن مضامين التربية الشعبية فيها.

أهمية البحث:

1-يستمد البحث الحالى أهميته بداية من أهمية الشخصية موضوع الدراسة، والدور الذى لعبته فى ساحة الحياة الثقافية والسياسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فبرغم تنوع وثراء خبرات النديم ودوره الهام فى الحركة الوطنية المصرية، فإن هذه الشخصية الفذة لم يسلط الضوء الكافى على فكرها التربوى ولم تحظ بالاهتمام المناسب من قبل الباحثين التربويين حيث اقتصر هذا الاهتمام – فى حدود علم الباحث – على دراسة بعنوان "قضايا التعليم فى فكر عبد ا النديم" (18)، وأخرى بعنوان "آراء عبد ا النديم فى التعليم"، وفيها ينكر صاحبها على النديم أن يكون صاحب فكر تربوى وإنما صاحب رأى تربوى لأن طريق الثورة الذى اختطه لنفسه ما كان يهيىء له الدعة للتفكير والتحليل والخروج بفكر تربوى [19] .

2-يمكن للبحث الحالى أن يستكمل حلقة هامة من تاريخ التربية والتعليم فى مصر، لما شهدته الحقبة التى عاشها النديم من متغيرات سياسية وثقافية اسهمت فى إبراز دور التربية والتعليم فى تجسيد ثقافة المقاومة للاحتلال.

3-يمكن للدراسة الحالية- أيضاً- أن تبرز الأصول التاريخية لاعتبار التعليم المشروع القـومى لمصر، وسبيل استقلالها وتقدمها، ومن ثم فإنه لم يغب فى أى فترة من الفترات عن عقل ووجـدان الشعب المصرى ومفكريه.

4-كما يمكن للدراسة الحالية أخيراً أن تبرز أهمية الصـحافة – كأحـد مكونـات المؤسسـات الإعلامية- كمؤسسة تربوية ومدرسة للوطنية.

خطوات السير فى البحث:

تسير الدراسة الحالية على النحو التالى:

أولاً: دراسة نظرية لمفهوم وأهداف التربية الشعبية ووسائطها عند النديم.

ثانياً: دراسة تحليلية لمضامين التربية الشعبية فى مجلة الأستاذ فى إطار الفكر التربوى لعبد ا النديم.

أولاً: مفهوم وأهداف ووسائط التربية الشعبية عند النديم

مفهوم التربية الشعبية وأهدافها عند عبد ا النديم:

برغم تعدد أعمال النديم ونشاطاته المتنوعة إلا أنه كان ينتظمها نسق واحد مبنى علـى حـافز التحرير، تحرير الفرد وتحرير العقل وتحرير الوطن، وفى سعى النديم نحو تحقيق هذا الهدف خاض شئون الواقع وتفاعل مع مجرياته، وبذا تواشجت حياته ومواقفه مع العمل الثقافى العام باعتباره سبيلاً لتحرير العقل واستنهاض إرادة التغيير الجماعية.

وقد أردك النديم مبكراً أن حصر خطابه فى دائرة النخب الثقافية يغير من طبيعة ذلك الخطـاب ويحد من فاعليته، ومن ثم اتجه إلى دائرة ثقافية أخرى دأب على توسيعها بانتظام حتى تشمل الكـل الوطنى، رامياً من وراء ذلك إلى تحرير الوعى واستنهاض الإرادة الجماعية للتغيير،. وتعزيز الهوية الثقافية الوطنية المهددة باجتياح خارجى والمعاقة باستبداد داخلى، وهو ما قاده إلـى السـعى لشـق مسالك تيسر الوصول إلى أوسع الجماهير، باعتبار أن الوصول إلى هذه الجماهير وتبنيها للمقـولات التى يطرحها خطابه هو غايته، وتكوين جمهور من المواطنين الفاعلين المجسدين للهويـة الثقافيـة الوطنية هو مطلبه [20] .

وهذا الانشغال بالبشر ممارسى الثقافة أفضى إلى ظهور نمط جديد من التربية أخذ فى التنـامى والتمايز داخل البنية الثقافية للمجتمع المصرى ليشكل ما يمكن أن نطلق عليه التربية الشعبية، والتى تصور النديم من خلال كتاباته أن تدور محاورها حول:

أ-تجميع أبناء الانتماءات المختلفة (الاقليمية، الطائفية، العرقية....) حول مفهوم أرقى للاجتماع هو مفهوم الوطن.

ب-بناء وعى جديد يرى به المواطن لنفسه دوراً فى بناء مجتمعه ووطنه، وتحرير ذاتـه مـع مواطنيه من القهر الداخلى والعدوان الخارجى.

ج-توسيع قاعدة الجمهور الذى يتبنى هذا الوعى الجديد، ويمارس مظاهر هذا الوعى ممثلة فى مكونات ثقافية تعزز الهوية الوطنية [21] .

ومن هنا كان النديم أول كاتب مصرى يعالج مشكلة بلاده القومية بأسلوب شعبى [22] ، وكانـت مجلة الأستاذ منبراً هاماً ومؤثراً لتربية الشعب، حيث أراد النديم أن تكون كالمدرسة التى تدخلها كل فئات الشعب من المتعلمين أو الأميين، ويتولى بقلمه وفكره صفة الأستاذ، ويبث فيها تعاليمه وأفكاره ليأخذ كل منهم على قدر فهمه للحياة وبمقدار سعة رئته [23] . وجاءت مقالاته علـى هيئـة دروس تهذيبية جمع بينها فى النهاية هدف الاستقلال والتحرر من الاحتلال، وإذا كان هـذا الهـدف نفسـه مطلبا من مطالب الثورة العرابية، فقد شهدت كتابات النديم فى مجلة الأستاذ تحولاً عميقاً فى نهجـه وأسلوبه لتحقيق هذا الهدف بتأثير انتكاس الثورة العرابية وفشلها، وقناعته بقلة فاعلية الثورة لتحقيق هذا الهدف وقتها، وبعد أن كان يدعو للثورة ويحرض عليها، اختلف نهجه فى مجلة الأستاذ ليصـبح المطالبة بالتزام الهدوء والسكينة وتدعيم قوة الإنتاج والمعرفة والعلم فى المجتمع المصرى، حتى أنه استهل العدد الأول من مجلة الأستاذ لينفى عن نفسه تهمة العمل بالسياسة أو الاشـتغال بهـا، ففـى محاورة باللهجة العامية تحمل عنوان "تحية لبلدى" يرد على مطالبة محاوره له بالحديث فى السياسة، "احنا مالنا ومال السياسة التى توجع الرأس وتلخبط العقل. السياسة لها ناس بالعنية، واحنا ناس بتوع نكت وتفريح وشبرقة وتسالى، والجريدة دى جريدة علم وتهذيب أخلاق ونكت مضـحكة وحاجـات مفرحة، فإن كنت عاوز اتكلم وياك فى تهذيب الأخلاق أنا وياك، وإن كنت عاوز السياسة دور لـك على واحد غيرى" [24] ، ثم يعود النديم ليكرر على مسامع محاوره "قلت لك ألف مرة ملناش دعـوا بالسيـاسـة اللـى مليانا بالقيل والقال، وكل يوم نشوف فيها أشكال وألـوان وكـل أحوالهـا تغـم وتقرف...." [25] .

ويمضى النديم فى مسيرته مقدما دروسه التهذيبية كما كان يحلو له أن يسميها، ولكنـه لا يـنعم بالهدوء الذى ارتجاه، فبعد مرور أقل من شهرين من صدور مجلة الأستاذ يجد النديم نفسه فى موقع الدفاع عن مجلته، ومطالبا بأن ينفى بشدة اشتغالها بالسياسة، وهى المقولة التى ساقتها بعض الأقلام التى ساءها سعة انتشار الأستاذ حتى صار يطبع ألفى نسخة من العدد الواحد. ويرد النديم على هـذه الحملة بمقال عنوانه "قل موتوا بغيظكم"، يقول فيه إن كل من حاول القيام بهذه الضلالة أقعدته سريرة الأستاذ الظاهرة التى يعلم إخلاصها كل ذى نفس ناطقة، فإنه ما ظهر إلا للتهذيب والتأديب وإصلاح ما فسد من بعض الأخلاق والإرشاد إلى مكارم الأخلاق وإحياء الصناعة والزراعة والتجارة ومنـع التخاذل والتضاغن الراجعين بأية أمة حلا بها القهقرى" [26] . ويبدو أن النديم ظل ينفى عـن نفسـه وعن مجلته الاشتغال بالسياسة إلى أن وجد نفسه أخيراً منغمساً فيها، ولكنها السياسة التى يفهمها هو والتى قد لا يدرك مغزاها المحتل أو الحاكم، حيث يقول فى معرض رده على مقولـة أحـد علمـاء الأزهر بأن النديم يدعو العلماء ليكونوا من رجال السياسة وهم ليسوا من أهلها، "أن السياسـة التـى تريدون الفرار منها هى التى تسعون خلفها، فإن القضاء والافتاء من فروع السياسة، ووجود العلماء فى مجلس النواب أو الوزارة للاستشارة فى أمر أو أمور هو السياسة، والاستفتا عن العقار والدعاوى والبينات والخبايات والحقوق هو السياسة" [27] .

وسائط التربية الشعبية وأدواتها عند النديم:

شكلت الصحافة أداة ووسيلة هامة من وسائط التربية الشعبية، كما لعبت المقالة الصـحفية دوراً هاماً فى إطار هذه الوسيلة، فقد حفلت مجلة الأستاذ – بالرغم من قصر مدة صدورها – بالعديد مـن المقالات والحوارات ذات التوجه التربوى، وأثار النديم على صفحاتها العديد من القضايا التى تبناها وكرس من أجلها حياته، ومنها على سبيل المثال لا الحصر القضايا التى تدخل فى نطـاق التربيـة الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والوطنية، والصحية، والغذائية....

وقد سيطر النديم على أدواته فى التربية الشعبية سيطرة تامة، ساعده على ذلك تمكنه من اللغـة العربية الفصحى والعامية، فكتب بالفصحى للخاصة وبالعامية لذوى الثقافة المحدودة وللمحرومين من التعليم ليقرأه المتعلم للأمى فيستفيد منه، وفى هذا الخصوص يقول النديم: "عزمنا على فتح جريـدة تهذيبية تشتمل على فصل قصير باللغة الدارجة، نحول به العامى الجاهل من كراهة سماع الكتب إلى محبتها، فينجر به الأمر إلى سماع الكلام الصحيح..." [28] .

ويبدو أن الكتابة بالعامية أخذت من النديم جدلاً داخلياً قبل أن تحظى بالجدل من قبل بعض القراء، فبعد أن كتب العديد من المحاورات بالعامية، نجده يعبر بلسانه فى محاورة أخرى عن تخوفه من "أن الكتابة تمشى بالبلدى فنحارب لغتنا العربية بجيشين، جيش الدخيل الأجنبى وجيش اللغة العامية" [29] ، وكرد فعل على توجه النديم نحو العدول عن كتابة بعض المقالات بالعامية، أرسل إليه بعض القراء يحثونه على العودة للكتابة بالعامية، حيث أجمع الكل على "تخطىء حضرتك فى العدول عن طريق النفع العام.. فارجع إلى ما كنت عليه من إنشاء بعض فصول تنتفع بها النساء والأطفال والعامة... فإن فصولك التهذيبية فعلت فى نفوس العامة والخاصة ما لا تفعله الخطبة ولا الوعاظ" [30] ، ولذا يظهر من كتابات النديم أن كل كتاباته ومحاوراته التى استهدفت المرأة والفتاة وتلك التى تناولت قضية الادمان وانتشار الخمور والمخدرات كانت باللهجة العامية.

ويبدو أن استخدام النديم للهجة العامية فى بعض كتاباته ومحاوراته لم يكن مرجعه فقط سهولة فهمهما من قبل بعض القراء ذوى الثقافات المحدودة، وإنما قد يكون دافعه إلى ذلك "ما يتسم به مستوى الاستخدام الرمزى للعامية من الغموض والعمومية" [31] ، وهو الأمر الذى قد يمكنه من التورية والتلميح دون التصريح، خاصة وأن المتربصين به من قوى الاحتلال والمتعاونين معه كانوا فى تزايد، الامر الذى أسفر عن إغلاق مجلة الأستاذ بعد فترة لم تطل إلى أكثر من عام منذ بدأ صدورها.

والأداة الثانية من وسائط التربية الشعبية التى استخدمها النديم فى كتاباته كانت المحاورات التى يكون لها طرفان أو أكثر، قد يكون هو أحدهما- فضلاً عن أن المحاورة كلها تجرى على لسانه- فقد حفلت مجلة الأستاذ بالعديد من المحاورات، والتى اتخذت شكل دروس تهذيبية، وحمل البعض منها عناوين تربوية واضحة، مثل تربية البنين، تربية البنات، فى حين كانت توجهات بعضها الآخر التربوية ضمنية.

وقد أتقن النديم أسلوب المحاورة التى تتضمن سيناريوهات كلامية بين المتحاورين، تدل على سعة الأفق والخيال، وقد يكون ذلك انعكاسا لميل دفين لديه للفن عموما وفن التمثيل على وجه الخصوص، حتى أنه لم يترك مناسبة عرض عمل فنى مسرحى إلا ونوه عنه وأشاد به داعيا الناس إلى مشاهدة هذا الفن الراقى، وقد أطلق النديم على "التياترات" مجامع الرياضة النظرية باعتبارها "عائدة بالفوائد الكبيرة على البلدان خصوصاً وعلى المجتمع المدنى عموماً لما فيها من تمثيل الوقائع بصور المستلذات نظراً وسماعاً [32] .

كما أشاد فى موضع آخر بتمثيل الأحوال والوقائع المسمى بالتياتر لأنه "فن بـديع يقـوم فـى التهذيب وتوسيع أفكار الأمم وإخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية مقام أستاذ وقف أمام تلامذته يلقنهم العلم بما تألفه نفوسهم وتميل إليه طباعهم، وكان ذلك شائعاً بين العرب والمصريين من زمن بعيد... ولكن لتوالى دواعى الجهالة على الأمم الشرقية نظروا إلى أرباب هـذا الفـن بعـين الازدراء وعـدوا تشخيصهم الأحوال أموراً مضحكة وانصرفوا عن العظة بها والاعتبار بما فيها..." [33] .

ولا يترك النديم فرصة عرض مسرحى أو تكوين إحدى الفرق المسرحية إلا ويرحب بها علـى صفحات مجلته ويثنى عليها ويحفز الجمهور المصرى على الالتحاق بهذا الفن، ومن ذلك الثناء على فريق التمثيل العربى وعلى رأسه الشيخ سلامة حجازى، الذى شهد عرضه كثير من الأفـراد فـى مقدمتهم على باشا مبارك الذى أشاد بالفريق معتبراً أنه "أولى بالتشخيص فى الأوبرة مـن غيـرهم لإحسانهم التمثيل" [34] . كما ينتهز النديم فرصة قيام جمعيتين تشخيصيتين ليثنى على همة أعضائها ويتمنى النجاح لهما "لأن فى نجاحهما حياة الآداب واتساع دائرة التهذيب" [35] .

وفى مناسبة أخرى ينوه النديم إلى تقديم مسرحية جديدة للشيخ سلامة حجازى ملتمساً من قومـه "ألا يضنوا على هذا الجوق الوطنى بإقبالهم عليه وحسن التفاتهم إليه، فهو الجوق الذى تمنينا وجـود مثله من زمن مديد" [36] ، ثم ينوه فى موقع آخر عن تقديم رواية جديدة على مسرح الأوبـرة أنـاب الخديوى عنه رئيس مجلس النظار لحضورها [37] .

ويبدو أن فن المسرح والتمثيل كان متأصلاً فى وجدان عبد ا النديم باعتبـاره وسـيطاً هامـاً ومؤثراً من وسائط التربية، حيث تشير الكتابات أنه حال إدارته لمدرسة الجمعية الخيرية الإسـلامية أنشأ جمعية التمثيل المدرسى لتدريس التمثيل علماً وعملاً من درس الروايات وطرق الإلقاء والفنون المختلفة المتصلة بالتمثيل، حتى أنه قام بتمثيل روايتين أدبيتين مع تلاميذه من تأليفه وإخراجه همـا (الوطن وطالع التوفيق)، و(العرب) فى تياترو زيزينيا وحضرها الخديوى توفيق [38] .

ويبدو أن شغف النديم بفن التمثيل وممارسته له ووعيه بدوره فى تربية الشعب مكنه من الاختفاء والتنكر عن أعين الحكومة ورجالها طيلة عشر سنوات عقب إخفاق الثورة العرابية، حيث يقول فـى رده على سؤال لأحد محاوريه "انت كنت فين المدادى واحنا قلوبنا مشعتفا عليك"... "أنا كنـت فـى بلادنا بلاد الفتوة والمروة قاعد آكل شارب مبسوط وضارب الدنيا طبنجة..." [39] ، ويفسر النديم هذا الأمر بقوله "درت فى البلاد متنكراً أدخل كل بلد بلباس مخصوص واتكلم فى كل قرية بلسان يوافق دعواى اللى أدعيها من قولى أنى مغربى أو يمنى أو فيومى أو شرقاوى أو نجدى، وأصلح لحيتـى

إصلاحاً يوافق الدعوى أيضاً فأطيلها فى مكان عند دعوى المشيخة وأقصرها فى آخر عند دعـوى السياحة، وأبيضها فى بلد وأحمرها فى قرية وأسودها فى عزبة" [40] ، وقد أتقن النديم تمامـا هـذا التخفى حتى أن رياض باشا رئيس النظار نفسه لم يتعرف على حقيقته بل كان يعتقد أنه رجل يمنى "متمكن من العلوم"، حيث يقول النديم "إنى كنت منكراً هيئتى وصوتى ولهجة كلامى بحيث يعز على والدى معرفتى بتلك الحالة" [41] .

ولم يكن فن التمثيل المسرحى هو الفن الوحيد الذى استأثر باهتمام النديم وكتاباتـه، فإنـه أدرك أهمية فن الغناء فى تشكيل وجدان الشعب، فكتب عن "مجالس السماع الخالية من الغوغـاء... فـإن التغنى بالشعر اللطيف الحاوى للمعانى الرقيقة المنبه للأفكار العامة للسعى خاف الفضـيلة والمزايـا الجميلة مما يحرك الطباع للعمل ويبعث فى النفوس رغبة فيما تضمنه الشعر من مقاصـد الشـعراء الجليلة".... بل إنه يتمنى أن يكون هناك مكان مخصص للغنـاء المصـرى خـال مـن الخمـور والغوغاء... يرأسه أشهر المغنين مثل عبده أفندى الحامولى وأمثاله على أن يكـون "لهـذا المغنـى مجلس ينظر فيما يغنى به من الأشعار والأدوار بحيث يحجر علـى الأدوار السـخيفة والضـروب الخارجة عن حد الأدب، فلا يرخص للمغنين إلا بما فى سماعه تنشيط وفى كلماتـه معـان تعجـب العقلاء ويرضاها الفضلاء" [42] .

منهج النديم وأسلوبه فى التربية الشعبية:

اختط النديم على صفحات مجلة الأستاذ منهجاً للتربية الشعبية يوافق رؤيته واهتماماته، فبدءًا من الأعداد الأولى للمجلة يحدد النديم إطار هذا المنهج وخطوطه الأساسية فى أنه سيدخل "فى كل فن بما يناسبه، ونعبر عن المقصود بعبارات متداولة بين الخاص والعام تعميماً للنفع فلا يرى المنشئون أننا قصرنا فى تحرير العبارة، فما كل قارىء يحتاج إلى الإنشاء البديع، ولا يرى العلماء أننا عدلنا عن طريقهم زهداً أو كراهة، وإنما نقدم كل عدد بعبارات ومواضيع تخالف ما تقدمها ترويحا للنفوس وترويجاً لبضاعة الأدب، ولا يرى أهل الكمال أننا نستعمل الهزل فى معرض الجد تهجينا للأفكار وإضاعة للمعارف وإنما التزمنا هذه الطريقة لميل النفوس إليها وليرى كل قسم من العلماء والأدباء والعقـلاء والعـوام مـا يحبه ويرضاه، فما القصد إلا أن تكون الخدمة عامة ينتفع بها الخاص والعام" [43] .

وحتى يؤتى منهجه وأسلوبه فى التربية الشعبية ثماره يحرص النديم على مد جسور الصلة مع القراء، وهو ما تبدى فى مراسلاتهم له وإفساح المجال لنشر هذه الرسائل والرد عليها على صفحات

مجلة الأستاذ، وقد كان هذا التفاعل مع القراء بمثابة تغذية راجعة للنديم شخصياً، مكنه من التعرف إلى نبض الشعب بكل طوائفه، كما أثرى عمله الصحفى وأضفى عليه الحيوية.

ومنذ العدد الأول من مجلة الأستاذ يلتمس النديم من القراء "إن رأوا ما لا يوافق فإنى مستعد لقبول نصائحهم وإرشادهم مع الشكر والثناء، إذ المقصود المنفعة العامة... والرأى إذا كان نتيجة أفكار متعددة كان أبعد عن الخطأ وأولى بالقبول، فليتفضل علينا أصحاب الفضل والكياسة مـن القراء بما يروه ليشاركونا فى الخدمة الإنسانية، والحمد والثناء واجب لكل فاضل على الخادم" (44) .

واستجابة لطلب النديم لا ينتظر القراء كثيراً، فبدءًا من العدد الثالث يعرض رأى بعض القراء فى نهج المجلة فى عرض بعض الموضوعات بالعامية، حيث وصلته رسائل من بعض من أطلق عليهم (أهل الكمال) يرون فى التوجه نحو العامية "تهجينا للأفكار وإضاعة للمعارف"، وبالمقابل يعتبر النديم تسلمه مكاتبات كثيرة "باستحسان هذا المشرب"، وبعض كتب تطلب جعل الكلام البلدى جريدة مستقلة، فرأينا الرأى العام يستحسن ما عليه الجريدة الآن فالتزمناه، فإن تكثر الفريق الثانى وصار صاحب الأغلبية أريناه رأينا إذ ذاك، فليتفضل بقبول ما نقدمه إليه من جد وهزل موافقة للجـانبين، ونحـن للجميـع مـن الشاكرين على سعيهم خلف الآداب وحبهم فى المحسنات الوطنية" (45) .

وفى موضع آخر يجسد منهج النديم فى التربية الشعبية وإيمانه بفلسفة الحوار واهتمامه برأى جمهور القراء، ما عرضه فى واحدة من محاوراته- عقب نشره مجموعة من المقالات عن إنجازات أسرة محمد على – على لسان أحد المتحاورين من خشيته أن يهتم النديم فى مجلة الأستاذ بالدخول "إلى باب التاريخ ويترك باب التهذيب، فيحجب عنا مقالاته الافتتاحية التى هدت الناس لكثير من الفوائد والطرق الأدبية...." فيرد النديم بلسان المحاور الآخر "إن الأستاذ يطالبنا بمطالبه فإن قمنا بما فيها فتح أبوابا غير ما قدمها، وإن رآنا مقتصرين على القراءة بلا عمل كان له ان يحجب عنا المقالات التهذيبية بما يراه مناسباً للزمان وأهله" (46) .

وإذا كان ما سبق يعبر عن منهج النديم فى التربية الشعبية على المستوى النظرى إلا أن هذا المنهج مارسه النديم أيضاً على مستوى التطبيق، حيث طبقه بطريقة مباشرة مع خادمه فى مهجره أثناء سنوات اختفائه، ويعرض النديم تجربته فى تربية خادمه فيقول "إنه كان غلاما أميا فارغاً من الأدب لا يعرف إلا ما أخذه عن والدته وما تلقاه من أمثاله، فعلمته الكتابة ولقنته ما يلزم لمثله، وقبل وصوله لهذه الدرجة جرت بينى وبينه محاورات كثيرة، وذلك أنى كتبت كلمات من باب المثل السائر أو الحكم وأخذت أقرؤها عليه وافهمه معناها، فكان يصدر منه ما يحرك الحليم للغضب، وأصبر

رجاء وصوله إلى التهذيب، وهذه الطريقة التى التزمتها فى تهذيبه أسهل تناولاً من كتاب مؤلف فى هذا الباب" [47] ، وبعد أن يستعرض النديم جهده وأسلوبه فى تعليم خادمه بعض قواعد وآداب السلوك وقدر من الحكم والأمثال، يلتمس العذر لخادمه "لجهله وفراغه من معدات الكمال، فإذا سفهت آراءه وقبحت أفكاره فقد نزلت على رتبته وكانت معارفى جهالة، فإن المعارف لا تسمى معارف إلا إذا حسنت لصاحبها كل حالة يكون عليها ومكنته من تعليم الجاهل ومسامرة الغبى وتفهيم البليد.." [48] .

ويرى النديم أن تربية الشعب لا تتحقق إذا غفل عظماء الأمة عن دورهم فى تحقيقها، ويأخذ على عظماء الأمة المصرية أنهم "يجتمعون للمسامرة بما ليس فيه فائدة البلاد، وشيوخ كل حديثهم ذم الشبان وما هم فيه من الاسترسال خلف الشهوات من غير أن يبينوا لهم طرق الهداية وسبل الاعتدال....."، ويخلص النديم إلى أننا "لا نصل للقوة العلمية وفينا من يقول العز فى الخمول والسعادة فى العزلة والفضل فى الزهد فى الدنيا والبعد عما فى أيدى الناس، فإن من توكل على الله كفاه، وهذا الفريق يتخلل بين العامة يزعم أنه من الهداة وهو من المضلين" [49] .

وفى هذا الصدد يرى النديم أن على العلماء ورجال الخطابة "أن يخطبوا الناس بضروريات دينهم ودنياهم فإنهم إن فعلوا ذلك وعلموا الناس الدين والتجارة، والملاحة والفلاحة.... وعلموا الناس الحقوق الوطنية والمدنية وواجبات العمران ومقدماته، واجتهدوا فى ذلك، أثروا فى النفوس تأثيراً غريباً وقادوا الأمة إلى التقدم بسرعة عجيبة...." [50] ، فهذه الأمة تحتاج أن يتخلل النبهاء مجالسهم، وجوس العلماء ديارهم، وبذل الأغنياء أموالهم، وصرف الأمراء هممهم حتى يتم تهذيب العامة ويعرف كل إنسان حده وحقوقه" [51] .

ثانياً: الدراسة التحليلية لمضامين التربية الشعبية فى مجلة الأستاذ فى إطار الفكر التربوى لعبد الله النديم

تشير كتابات النديم وإصداراته المختلفة إلى مجموعة القضايا التى تبناها فى مسيرته الوطنية والتى أخذت فى كتاباته شكل دروس تهذيبية- كما كان يطلق عليها- تمثل وتجسد مضامين للتربية الشعبية، حظيت مجلة الأستاذ بالنصيب الأوفر منها، والتى يمكن فى الدراسة الحالية تصنيفها وفقاً للمحاور التالية:

1- قضية الهوية الوطنية ودور اللغة العربية فى تعزيزها.

2- درس الوحدة الوطنية والحرية الدينية.

3-الصحف ودورها فى تربية الشعب.
4-الدور التربوى لمؤسسات المجتمع المدنى فى ترقية المجتمع وتنميته.
5-ثقافة المقاومة ونهج التحرر والاستقلال.
6-تربية القيادات الإدارية والسياسية ودرس الإصلاح السياسى والإدارى.
7-تشجيع الصناعة الوطنية والاهتمام بتحسين المنتج الوطنى.
8-دروس مواجهة الجهل والبدع والخرافات.
9-دروس التوعية بمضار الإدمان وتعاطى المخدرات والمسكرات.
10-قضية نشر التعليم واقتراح طرائق جديدة له، والحث على إنشاء المدارس.
11-دروس تربية البنين وتربية البنات.

1-الهوية الوطنية ودور اللغة العربية فى تعزيزها:

اهتم النديم فى كتاباته اهتماماً بالغاً بمسألة الوطنية والهوية، وربط فى كثير من الأحيان بينها وبين التعليم وقضية اللغة القومية، وظل يلح على أهميتها على الأقل كشكل من أشكال المقاومة للمحاولات السافرة والمستمرة لطمس الهوية الوطنية والقومية من قبل قوى الاحتلال.

ففى مقال له عن "الحياة الوطنية" [52] يقرر أن "الحياة الوطنية هى انتشار المعارف والصنائع فى الأمة، وأن التهور والتذمر مع الجهل والفراغ من المعدات لا يفيدان إلا الخذلان، إذ ليس لطالبى المعارف والصنائع سلم يرتقى عليه إلى الحياة الوطنية إلا الهدوء والسكون وقطع الوقت فى تحصيل المراد منها حتى تتهذب الأفراد وترسخ أقدام الآخذين بيد النظام، هنالك يعرفون بين الأمم وتظهرهم الحياة الوطنية ظهور من جاورهم فى الجد والاجتهاد فى تحصيل العلوم" [53] ، ويرى أن "اختلاط الأمم موجب لتربية الأمم تحت أحضان بعضها بالتقليد والتلقى"، وأن ينظر المرء إلى الفائدة الحاصلة من استيطان الغير "حتى لو كان الغير قاهراً فإنه يتعلم بقهره كيفية تكوين العصبية وإحياء الوطنية... فإذ أقللنا من المدارس بعد أن عرفنا ثمراتها، أو قصرنا التعليم على أفراد معلومة أو حولنا طريقة التعليم باللغة الوطنية الرسمية إلى التدريس باللغات الأجنبية فقد رجعنا بمدنيتنا القهقرى، إذ يموت العلم بموت أهله ويحيا الجهل فى الطبقة التالية" [54] .

ويبدو أن قضية اللغة القومية وربطها بالوطنية والهوية كانت قضية حياة بالنسبة للنديم، فقبل هذا المقال بإحدى عشرة سنة تقريباً كتب مقالاً فى صحيفة التنكيت والتبكيت بعنوان "إضاعة اللغة تسليم للذات" [55] ، يقول فيه "أيها الناطق بالضاد، بم تستبدل لغتك وما لها من مثل، وإلى من تتركها وأنت

لها كفيل، وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها، وأى شىء طلبته فيها ولم تجد له اسماً، فاللغة هى أنت إن كنت لا تدرى من أنت، وهى وطنك إن لم تعرف ما الوطن". ولا يقف الأمر بالنديم عند هذا الحد، بل إنه يقترح طريقة لتعليم الناشئة اللغة العربية فيقول "إننا لا نحتاج لحفظ لغتنا أكثر من إحداث درس فى جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية لا يصعب الأخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها، مع اجتماع الأمة على تكثير المدارس بالجمعيات، وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغة الوطنية وتهذيب الأخلاق، وحفظه من معلم أجنبى يغرس فى طبيعته الساذجة حب بلاده، ويحسن لأفكاره الخالية طباع أهل جلدته، وإذا تمت هذه المبادىء رأيت لبلادك نشأة جديدة وخلقا بديعاً، وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم، وانتظام الهيئة الاجتماعية، أن إضاعة اللغة تسليم للذات" [56] . ولا ينتظر النديم طويلاً بعد هذا المقال، بل يعقبه بمقال آخر لا يفصله عنه إلا أقل من شهر "كلمة غيور على لغته"، يوضح فيه أنه "لا تصلح أمة إلا إذا تهذبت وتأدبت وعمتها المعارف وأصبح كل فرد عالما بما يجب له وعليه، مجتهداً فى تحسين بلاده بالرفق والتأنى والجد والاجتهاد" [57] ، بل إنه وهو يعدد الحقوق المختلفة التى ينبغى على التلميذ الوفاء بها، نظر بعين الاعتبار إلى حق الوطن فى "حفظ لغته وتثبيت العمل بها وتنقيح وحشيها"، ويوجه النصح للتلميذ "أن تكون مخاطبتك لأحبابك وكتابتك فى ديوانك وقضاياك جميعها بلغتك التى تجمعك مع مواطنيك وتحفظ لك النظام العام" [58] .

ويبدو – كما يرى النديم – أن هناك من لا يريد لهذه الأمة أن تنهض وترقى، فنجده يرصد "سعى كثير من الناس المحبين للغاتهم فى إماته هذه اللغة (يقصد اللغة العربية)، وتحويل الألسنة عن التكلم بها إلى التكلم بغيرها لنفقد بفقدها المجد والشرف معاً" [59] ، ويدلل على ذلك بقول وليم ويلكوكس فى خطبة له فى (كلوب الأزبكية)، "إن المصريين لا توجد فيهم قوة الاختراع، ولا مانع لهم إلا اللغة العربية الصحيحة، وأنه إذا تحولت الأفكار وحتمت استعمال اللغة الدارجة فى المخاطبات والتآليف العلمية والتدريس أمكن المصريين أن يخترعوا" [60] .

ولا يوافق النديم على ربط مسألة تدهور اللغة بالاحتلال الأجنبى، حيث يقرر أنه "كم من أمم خضعت لأمم أعظم منها قوة وأشد منها بطشاً وبقيت محافظة على لغتها فبعثتها إلى الاستقلال"، و"إذا كان الأجنبى يتعلم لغتنا لينقل ما فيها إلى لغته، أفلا نتعلمها للمحافظة على ما عندنا، وإذا كان الأجنبى يقدر على فهم معانى لغتنا وهى أجنبية، أفلا نقدر على فهم مؤلفات علمائنا ونحن من عشيرتهم" [61] .

ويرى النديم أنه لا يرجع باللغة القهقرى إلا أمران "كثرة استراق الكلمات الأجنبية واستعمالها فى مخاطباتنا الكتابية والخطابية، لأن الدخيل من لغة الغير مفسد للغة، محول لأهلها عن طباعهم ومألوفهم إلى طباع أهل اللغة التى ينتقلون إليها ومألوفاتهم، وقد بلينا بالنقل عمن خالطناهم حتى كثر الدخيل فى كلامنا الدارج والرسمى". أما السبب الثانى الموجب لموت اللغة – فى رأى النديم – فهو "نقل اصطلاحات العلوم أولاً إلى اللغات الأجنبية ثم نقل التدريس من اللغة العربية إلى أية لغة أجنبية، فمتى حصل هذا فى أية أمة فقدت لغتها وتبعها الدين والتاريخ الوطنى، فإن اللغة مرتبطة بالدين ارتباط الروح بالجسد" [62]. كما يرى النديم أن "نقل التعليم من لغة البلاد إلى لغة أجنبية نقل للتلميذ من الجنسية والدين معاً، والعجب أن المصريين يبذلون لمعارفهم أموالهم.... ثم تصرف فى تعليم لغة غير البلاد ومصلحة غيرها"، ويتساءل النديم عن "موجب تعليم مثل التاريخ والطب والهندسة والجغرافية باللغات الأجنبية، وقد يستخدم المتعلم بين من لا يعرفون كلمة أجنبية وهم فلاحو مصر وعمالها" [63]، ولكنه يعود فيستدرك "أنه لو فرض وتعلمنا اللغات الأجنبية وتكلم بها صغيرنا وكبيرنا عند الحاجة إليها لوجب علينا أن نحافظ على لغتنا العربية ونستعملها فى معاملاتنا الخاصة بنا وبين أهلينا وأبنائنا وفى كتب ديننا وعلومنا الأصلية والفرعية لبقاء الدين والجنس ببقـائها، وهنـــاك لا تضر اللغة الأجنبية المستعملة فى الضرورة لا فى المعاملات والمخاطبات" [64] .

ولا يقف الأمر بالنديم عند هذا الحد، بل يدهشه ما قد يتميز به من يتعلم بلغة أجنبية عمن يتعلم باللغة العربية، ففى مقال بعنوان "المساواة بين البنين" يطالب رئيس المعارف بالمساواة بين أبنائه وبث روح الجد فى جميعهم لا يخص أحداً بمزية دون الآخر، ويقدم له "نجله العربى يئن بصوت حزين لما نابه من حدثان الزمان الذى غرس فى قلب أبيه محبة أبنائه الأعاجم فخصهم بمنح كان الأجدر أن يشاركهم فيها، إن لم يكن هو أولى لأنه إذا اصطفى المربى أحد أبنائه بخصوصيات دون بعض فقد أجحف بحق الآخر، ومن ثم فقد بذر فى قلوبهم بذور الحقد والشقاق، وباء بأمر يحسبه هينا وهو عند ا عظيم". ويناشد النديم رئيس المعارف بلسان التلميذ الذى يتعلم باللغة العربية "أيها الأب الشفوق أنشدك ا أن تستلفت النظر نحو نجلك ذى اللغة العربية كما نظرت إلى أخوته من قبل...، لم قدمت أخوتى على وأنا رشيدهم إلى طرق الخير بلسانى العربى الذى هو لسان الدين وترجمان الوطن.. إنك لو أبقيتنى على هذه الحالة لصار أبناؤك إلى ما كانوا عليه، فلا يكادون يفقهون قولاً ولا يسمع لهم صدى صوت ينادى بعبارة أدبية أو نصيحة وطنية، بل يعكفون على طباع الغير ومحبته فتفسد طباعهم وتسوء أخلاقهم" [65] .

ويعول النديم كثيراً على القائمين بأمر الأمة أن يحولوا بين اللغة وموتها وذلك باقتراحه "إحداث جمعية من علماء الأزهر وأفاضل المدارس الذين جمعوا بين لغتهم العربية أو التركية وبين اللغات الأجنبية ليضعوا للاصطلاحات الطبية والكيماوية والهندسية ومفردات الكلام أسماء عربية بها تدرس تلك العلوم" (66) .

وكان من أصداء هذه الدعوة والتى سبق للنديم تبينها فى مقال (إضاعة اللغة تسليم للذات)، أن تأسس فى مصر "مجمع اللغة العربية" والذى رأى النديم أن فوائده لا تعم "إلا إذا تقرر فى مجالس النظار اعتبارها جمعية لغوية، وإلزام مدرسى اللغة العربية فى المدارس وغيرها بالنقل عنها وتعليم الطلبة ما تقرره من الفوائد اللغوية....، ثم تتناقل الجرائد المحلية كلماتها وتكررها بالمناسبات لتكون فى مقام مدرسين يعلمون القراء ما يتعلمه التلميذ فى المدرسة من فوائدها، وبهذه الطريقة تتداول الكلمات المقابلة للكلمات الأجنبية" (67) .

ولا يقف الأمر بالنديم عند هذا الحد، بل يقترح فى معرض احتفائه بتأسيس هذا المجمع اللغوى أن يكون "المجتمع عاماً فى كل ما يتعلق بالفنون العربية، وتقسم الأعضاء بحسب قواهم العلمية، فيكون قسم منهم مختصاً بالمواد اللغوية، وقسم يختص بالآليات كالنحو والصرف والبيان والبديع والمنطق، وقسم يختص بالتاريخ وتقويم البلدان، وقسم يختص بالترجمة، وقسم يختص بالرياضيات"، ويتعدى الأمر هذا حيث يضع النديم تصوراً لعمل لجان المجلس وأقسامه، وضرورة إنشاء جريدة خاصة بتقاريره" (68)، ولا يفوت النديم فى النهاية أن يطالب بابتعاد المجتمع عن "الدخول فى السياسات سراً وجهراً، وأن تحفظ الصلة التى بينه وبين الأزهر المنير بعدم تعرضه لشىء مما هو من خصائص الجامع وسماحة شيخه"، وإذا سلك المجمع هذا الطريق – يقول النديم – "تمكن من القيام بأعمال كثيرة المنافع وفاز بثقة العلماء والأذكياء وعاد منه خير عظيم على كل لغوى وأديب، وإذا تحقق ذلك فحرى أن نسميه بالمجتمع العلمى لا اللغوى" (69) .

2- درس الوحدة الوطنية والحرية الدينية:

شغلت قضية الوحدة الوطنية حيزاً كبيراً من اهتمامات النديم ومساحات عديدة من كتاباته، وكان حريصاً باستمرار على كتابة مقالاته فى هذا الشأن فى صورة دروس فى الوحدة الوطنية، والتى أطلق عليها مسمى (الجامعة الوطنية)، حيث يتصدر هذا العنوان واحداً من مقالاته فى الأعداد الأولى لمجلة الأستاذ، وفيه يستعرض مسيرة العلاقة بين الطوائف الدينية الثلاث فى مصر منذ دخولها الإسلام منوها إلى "أننا نرى فى البيت الواحد ثلاث طبقات، المسلم فى واحدة والمسيحى فى الثانية

والموسوى فى الثالثة يتزاورون ويتهادون ويجتمعون فى الأفراح والمآتم ويتعاملون معاملة المستويين دينا" ويرجع ذلك- فى رأى النديم – إلى أن الجامعة الوطنية "كانت حجابا بينهم وبين كل ما من شأنه أن يثلم الشرف أو يضر بالذوات والأموال، وقد تركت لهم حرية التعليم فى كنائسهم ومعابدهم ومدارسهم من غير أن يكون عليهم رقيب أو يحجر عليهم تعليم فرع من فروع الدين فضلاً عن أصوله" [70]، ومهما حدث من فتن فى أى من الممالك أو الولايات "فإن مصر كانت مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع بمثلها فى الأقطار....، فلا تسمع يوماً بوقوع فتنة دموية بين المسلمين والأقباط لشدة الرابطة بينهم....، فإنه لم يسمع بتعدى أحد الفريقين على الآخر وعلى الخصوص فى بلاد الصعيد التى يسكنها معظم الأقباط، وهذا كله دليل على أن التسوية بين المحكومين تكون الجامعة الوطنية" [71] .

وفى هذا الصدد لا يفوت النديم الإشادة بحرص أقباط مصر على الوحدة الوطنية أو الجامعة الوطنية حيث يقرر أن أقباط مصر "لم يجتمعوا يوما لتفريق عصا الجامعة ولا لشق ثوب الائتلاف ولا تنافروا مع المسلمين لسبب من الأسباب دينيا كان أو دنيوياً، ولا مالوا للخروج من ظل عدل الحكومة المصرية إلى حرارة غيرها..." ولذا – يقول النديم – "فنحن معاشر المصريين نفتخر بين الأمم بهذه الجامعة التى لا تنحل عقدتها ولا يتبدد نظامها" [72]، ويحرص النديم فى ختام مقاله المطول على التحذير من خطورة تعرض هذا الاجتماع والائتلاف بين عنصرى الأمة للفرقة "بأن يتعصب كل فريق لجنسه أو دينه"، حيث "أمضينا ثلاثة عشر قرنا ونحن متفقون مع المسيحيين والإسرائيليين فى السكن والمعاملة ولم يكدر صفوفنا إلا الدخلاء بدسائسهم ومفترياتهم... وما ملنا يوما لإساءة من خالفنا فى الدين... ولا نتعرض كذلك لمعابد الغير لأن حرية الأديان مطلقة" [73]، فأنت فى مصر "ترى أصحاب الأديان ممتعين بأديانهم والتظاهر بعوائدهم الدينية فى أعيادهم وأمام موتاهم" [74].

وتترى مقالات النديم فى مجلة الأستاذ مشيدة بالوحدة الوطنية فى مصر ومتضمنة رؤيته لتدعيمها وتعزيزها، ففى مقال آخر بعنوان (المسلمون والأقباط) يطالب بعقد وتكوين جمعية مصرية "موضوعها البحث فى الوطن وخصائصه وواجباته وضروريات حياته، ولا تخرج فى هذا كله عن الأدبيات والمحافظة على ما بين المصريين من روابط المحبة"، فبالرغم من أن ذكاء نبهاء الفريقين يبعثهم على التمسك بحبل الارتباط الوطنى ولكننا نحب أن تزداد علاقات الوطنية بعقد هذه الجمعية المصرية"، ومصر ليست بدعة فى هذا الخصوص، "فقد رأينا كل جنس له جمعيات وطنية، ونحن لا جمعية لنا تبحث فى الوطنية"، وبالرغم من إقراره بوجود جمعية اسلامية وجمعية قبطية على الساحة

فإن النديم رأى أنه "لا تعلق لكل منهما بما نحن فى صدده، فإنهما جمعيتا إعانة وتربية أيتام"، ويرى النديم "أن تكوين جمعية من الفريقين يفيدهما فوائد جمة أدبية ويحول بينهما وبين النزعات الأجنبية...، جمعية تحفظ النظام الوطنى بمساعيها الأدبية وما يترتب عليها من تطهير البواطن وتوحيد الكلمة وظهور الوطنية بين رجال هم أحق الناس بخدمة بلادهم بآدابهم وعلومهم" (75)، ولا يستكثر النديم هذا على أبناء مصر فهم ابناؤها "الذين ينسبون إليها وتنسب إليهم، لا يعرفون غير بلادهم ولا يرحلون لغيرها.... وهم هم إخوان الوطنية يعضد بعضهم بعضاً ويشد أزره فى مهماته، يتزاورون تزاور أهل بيت ويشارك الجار جاره فى أفراحه وأتراحه، علما منهم أن البلاد تطالبهم بصرف حياتهم فى إحيائها بالمحافظة على وحدة الاجتماع الوطنى الذى يشمله اسم مصرى من غير نظر إلى الاختلاف الدينى.. وهم الآن أحوج للالتئام وتوحيد السير من أيام الجهالة، فقد عمتهم المعارف وتحلوا بالآداب، ووجد فى الفريقين أعداد كثيرة من الفضلاء وأرباب الأقلام، والملاعب الدولية تشخص أمامهم أدواراً توجب عليهم مجاراة الأمم فى البحث عن حوافظ الوطنية والتمسك بما يؤيد سيرهم المصرى" (76) .

وفى معرض تفنيده لما جاء بمقال نشر بإحدى جرائد (انجلترا) يرمى المصريين بالتعصب الدينى، يستشهد النديم بكلام أحد المبشرين ليدلل على أن اقباط مصر ومسلميها يشكلون نسيجاً واحداً لهذه الأمة، حيث يقول القسيس فولترس الذى أقام بين المسلمين فترة "إن أقباط مصر ما بقى عندهم من الديانة النصرانية غير بعض الظواهر، أما أفكارهم وعوائدهم وأخلاقهم وإحساساتهم الدينية فإنها تميل إلى أخلاق المسلمين وعوائدهم أكثر من ميلها إلى النصارى ".ويلفت هذا التعصب الخارج عن الحد والذى يرى فى معاشرة الأقباط المصريين للمسلمين بلا تعصب ضعفاً فى الدين نظر النديم لأن الأوروبيين- كما يقرر النديم- "لا يدخلون بلداً اسلامياً بالقوة إلا بعلة راحة المسيحيين من تعصب المسلمين، وما يريدون إلا إفساد ما بينهم من الألفة ومبادلة المحبة والمعاملة" (77) .

ومن ثم لا يرى النديم فى هذا التهجم والاتهام للمصريين ما يمنع من القول بأننا معاشر المصريين نفتخر بحسن معاملتنا كل من سكن بلادنا وبإنصاف مواطنينا... وعدم تعرضنا لدين من الأديان بالتقبيح والقدح"، مستشهداً فى ذلك بقول القسيس سيروس هملن الذى أقام مدة طويلة أيضاً فى بلاد المسلمين بصفته مبشرًا أمريكياً: "إن المسلمين فطروا على عدم معارضة أحد فى دينه خصوصاً وأن قرآنهم يمنعهم من التعرض لأهل الكتاب، وبناء عليه تأسست عندهم الحرية التامة لكل الطوائف النصرانية ولليهود ...، ومن ثم فإنه لصالح الدين النصرانى يلزم أن نعامل المسلمين معاملتهم لنا فإنهم أحن الناس أخلاقاً وألينهم جانباً" (78). ورغم دعاوى التعصب على المسلمين والمصريين،

يطالب النديم المسلمين "ألا يغيروا طريقتهم التى جبلوا عليها، ويلزمهم دينهم بالأخذ بها، وهى معاملة كل وطنى ومستوطن فى بلادهم بالحسنى وعدم التعرض لمغايريهم فى الدين ولا فى الكنائس ولا فى العوائد [79]، لأننا تعودنا على مخالطة الناس ومعاشرة أهل الأديان على ما هم عليه من ألف وثلثمائة سنة فلا نغير سيرنا ولا نتخلق بأخلاق المتعصبين" [80].

وفى محاورة (مدرسة البنين) يقدم النديم درساً بليغاً للتلميذ الذى يسأل النديم "إذا اختلف شنودة ونخلة لاختلاف مذهبيهما، ماذا يضيرنى وأنا مسلم وهما مسيحيان؟"، يجيب النديم "الأقباط مسيحيون ولكنهم أبناء وطنك فيلزمك أن تفرح بانتظامهم لكونه حجابا بينك وبين الفشل، وتغتم لتفرقهم لكونه سبباً لأمور لا يسعها عقلك الآن، ووحدة الوطنية تلزمك بالمحافظة على ودادهم والالتئام معهم.... فإن الأجنبى يفرح بالتفريق بينهم، فيجب عليك أن تحافظ على وحدة الوطنية وتستجلب قلوب جميع الوطنيين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو اسرائيليين.. ولا تتعرضوا لما يوجب النفرة أو يحدث فتنة فى البلاد، فإننا أحوج الناس إلى الهدوء والبعد عن الفتن" [81] .

3- الصحف ودورها فى تربية الشعب:

تعكس كتابات النديم وعيه بأهمية الصحف فى تنوير أبناء المجتمع وإيمانه بدورها كمؤسسات تربوية، ويتجلى هذا الاهتمام ومظاهره فى أمرين:

- الأول فى كتابات النديم الموضحة دوماً للهدف من صدور الصحف عامة، وتلك التى أصدرها خاصة.

- ويتجلى الأمر الثانى فى ترحيبه المستمر على صفحات إصداراته بالصحف والمجلات والمطبوعات الجديدة.

فأما بالنسبة للهدف من صدور الصحف ودورها فى تثقيف وتربية أبناء الشعب، فإن النديم يعتبر "فضل الجرائد على العامة كفضل المعلمين على الخاصة" [82]، حيث يحدد صور هذا الفضل على الشعب وفقاً لطابع الجرائد وتصنيفاتها، فإذا كانت ذات طابع سياسى، فإنها تكون "ناقلة للأخبار منبهة على ما فيه النفع العام من أوجه الإصلاح والنجاح، مترجمة للعظماء وأعمالهم، جامعة للأمة على وحدة بها تعظم الممالك وتتقدم المعارف والآداب، فلها صوت الحادى أمام الأمة" [83] .

أما الجرائد ذات الصفة العلمية فيعتبرها النديم "نشرة للفنون مهذبة للنفوس قاتلة للجهالة منبهة على مكارم الاخلاق، معلمة للصنائع والتاريخ وما يلزم القراء من فروع العلوم وقواعد الفنون، وكلما

كثرت الجرائد فى دولة كثرت المدنية فيها وتربت الأفكار فى مدرسة التهذيب والتأديب والعلم بأخبار العالم أجمع" [84] .

أما إذا دعت الحاجة إلى صدور الجرائد الدينية "فينشرها علماء الأديان تعليما لحكم أو تفسيراً لمبـهم أو حلاً لمعضل، لا يريدون بذلك إلا حفظ الأفراد التابعين لدينهم من تتبع الأهواء والمبتدعات" [85] .

والجرائد وهى بصدد تحقيق هذه المقاصد لا تحققها "بالغش والخديعة ولا بشقشقة الألفاظ التى لا طائل تحتها ولا بتصويب عمل المخطئين وتخطىء المصيبين وتقبيح الحسن وتحسين القبيح ولا بجعل الجرائد أسواطاً للغير يضرب بها أهل البلاد...." [86].

ويرى النديم أن الجرائد فى مصر فى عصره أصبح لها شأن كبير حيث "تربت بعباراتها الأفكار وتعلمت الأمة كثيراً من الأصول السياسية وخاضت فى بحار المذاكرات الدولية، وهذه التربية وإن حصلت بقصد رغبة الجرائد وداعى إنشائها ولكنها أثبتت لها الفضل فى فتح أبواب المذاكرات وجلب الأخبار وتبيين مقاصد الرجال ومحاورات الدول. ولا نرى الشرق محتاجاً لشىء أهم من نصحاء مخلصين يبينون طرق الإصلاح الحقة ويغارون على أوطانهم، ولا يميلون إلى النفرة وتفريق الكلمة الشرقية والتفاخر بالاقتدار على الكتابة أو بسعة الاطلاع أو كثرة المعارف أو التحايل على التقبيح والشتم..." [87] .

وإذا كان ما سبق يشير إلى الهدف من إصدار الجرائد ودورها فى تربية أبناء الشعب، فإن النديم فى إصداراته المختلفة لم يخرج عن إطار هذا الهدف، حيث نراه فى واحدة من حواراته بالعامية يعـبر على لسان محاوره "مرادنا تعمل لنا مدرسة فى جرنالك تعلم الأخلاق اللطيفة والآداب الجميلة" [88]، وهو المطلب الذى لم يحد عنه النديم، فعند إصداره جريدة التنكيت والتبكيت، أعلن أنها صحيفة أدبية تهذيبية تتلو عليك حكماً وآدابا ومواعظ وفوائد ومضحكات بلغة سهلة لا يحتقرها العالم ولا يحتاج معها الجاهل إلى تفسير" [89] .

ولم يخرج الهدف من إصدار مجلة الأستاذ عن هذا المضمون كثيراً، حيث جاءت كما يقول النديم كنتيجة لما رآه من "انتشار الأمية بسبب تقصير ملوك الشرق فى جانب العلوم واشتغالهم بالحروب الداخلية والخارجية عما يقدم الأمة من المعارف، عزمنا على فتح جريدة تهذيبية تشتمل عل فصل قصير باللغة الدارجة نحول به العامى الجاهل من كراهة سماع الكتب إلى محبتها فينجر به الأمر إلى سماع الكلام الصحيح، وهنالك لا يلزم كتابة غير الصحيح" [90] .

ويعلن النديم أن مطالبه التى يلتزم بالكتابة فيها "وسيعة طويلة عريضة، ولكن التزمت توزيع المطالب وتنويع الأعداد ليكون أشوق للمطالعة وألذ فى الأذواق الطاهرة" (91) .

وفى موضع آخر يؤكد أن مجلة الأستاذ ما ظهرت "إلا للتهذيب والتأديب وإصلاح ما فسد من بعض الأخلاق والإرشاد إلى مكارم الأخلاق، وإحياء الصناعة والزراعة والتجارة، ومنع التخاذل والتضاغن الراجعين بأية أمة القهقرى" (92) .

فالجرائد فى رأى النديم "أساتذة قائمة بتهذيب الأمم وبث ما لا يعلم من الأخبار والفنون، وعليها مدار الأعمال السياسية وانتظام أحوال الأمم والتجارة والصناعة والزراعة وبها تحفظ النفوس العاتية وتهتدى العاملة وتستثير الفاضلة... ونراها فى مصر آخذة فى التقدم والترقى مما يدل على أن المصـ ريـيـ ن انبعثت فيهم روح الحياة العلمية والأدبية، ولا تخلو جريدة من فائدة حتى جرائد الأعداء" (93) .

وقد عاد النديم فى العدد الأخير من مجلة الأستاذ الذى كان بمثابة وداع للقراء ليؤكد على نفس الأهداف السابقة، فيقرر أنه بعد عودته من الاختفاء عشر سنوات لم يجد شيئاً يتقرب به ويخدم به وطنه غير "إنشاء جريدة علمية تهذيبية أخلص فيها النصح للشرقيين عموماً وللمصريين خصوصاً... وما رأيت باب نصح أو إرشاد أو موعظة أو تعليم أو إنذار أو تحذير إلا دخلته جاعلاً الإخلاص مطيتى... حتى صار الأستاذ فى مقدمة الجرائد المرشدة إلى طريق الإصلاح والنجاح" (94) .

ولا يقتصر وعى النديم وإيمانه بأهمية الصحف ودورها فى تربية الشعب على الصحف التى أصدرها فحسب، حيث نجده يحرص على الترحيب على صفحات جرائده بالصحف الجديدة داعياً القراء إلى اقتنائها وقراءتها حتى تحصل الفوائد، من ذلك على سبيل المثال ترحيبه بصدور مجلة الهلال حيث يقول عنها أنها "جريدة علمية تاريخية صاحبها ومحررها جورجى أفندى زيدان... فتمنينا له النجاح والفلاح لتوسيع دائرة العلوم وتربية الأفكار فى مدارس الجرائد" (95) ، وبعدها بشهور قليلة صدر العدد الأول من جريدة (الفتاة)، وهى "جريدة علمية أدبية تاريخية فكاهية باسم الفاضلة البارعة المجيدة الست هند نوفل، وقد أفعم بالمواضيع العلمية والمقالات الأدبية بقلم إذا لم يطلع القارىء على اسم المحررة قال إنه إنشاء رجل فحل خبير بالأحوال متضلع من علوم الإنشاء، وهذا الذى كسا الجريدة حسنا وبهجة، وهى أول جريدة عربية نسبت إلى محررة شرقية ولم تخرج فى مواضيعها عما هو من لوازم النساء قياما بحقهن عليها فنرجو لها التقدم والنجاح" (96) .

ويرحب النديم بصدور جريدة دينية مسيحية، ويتخذ ذلك مؤشراً لحرية المطبوعات فى مصر، "حيث تصدى العالم الروحانى القس وطسن رئيس مدرسة الأمريكان بمصر لنشر جريدة دينية سماها

(النشرة الانجيلية المصرية)، وهذا أمر- كما يقول النديم- ما كان يحلم به الشرقيون، ونحن أقرب الناس عهداً بزمن الحجر والمنع الكلى لكل ما يشير للادين من المحررات،... فإن الجرائد الدينية ترد الأمم عن الفجور والفساد وتدعو الناس إلى مكارم الأخلاق" [97]، وعن دور مجلة الأستاذ فى هذا الخصوص يعلن النديم أن "جريدة الأستاذ لما شمت هذه الحرية أخذت تنشر فصولاً للبنين والبنات تعليما لهم، وتستلزم هذا التعليم التهذيبى مع المحافظة على الآداب وعدم التعرض لشىء من أديان الغير إغلاقاً لباب الضغائن والفتن" [98] .

وإذا كان النديم – إدراكاً منه لأهمية الصحف ودورها فى تربية الشعب- قد رحب بصدور العديد منها، منوهاً بالأعداد التى توزعها، فما ذلك إلا لأنه رأى أن "كثرة الجرائد مع كثرة الأعداد الصادرة منها دليل على تقدم الأمة المصرية وانبعاث روح العلم والحياة الوطنية فيها... ولذا فالأستاذ يقدم الثناء لحضرات الأفاضل محررى هذه الجرائد على اختلاف لهجتها وتابعيتها على خدمتهم الأفكار وتوسيعهم نطاق الآداب وسهرهم الليالى فى كتابة ما ينفع الأمة ويرشد إلى طريق ترقى الأفكار باختلاف التعبير والمواضيع، كما يرجو الأمة أن تتلقى هذه الخدمة بالقبول وتمد يد المساعدة لتكون مادة لحياة وظيفة الإنشاء التى هى وظيفة التدريس العلنى والتعليم الأدبى، ولا يعز عليهم قليل من المال ينفق فى كثير من العلوم والآداب" [99] .

واتساقاً مع الإشارات السابقة التى أوردها النديم وما اختطه لمجلته نراه يفتح صفحاتها أمام كتابات بعض تلاميذ المدارس الثانوية، ومنها على سبيل المثال مقال بعنوان (متى يستقيم الظل والعود أعوج)، والتى يقدم النديم لها بأنها "من إنشاء الشاب الذكى النجيب أمين أفندى عريف، التلميذ بالمدرسة التوفيقية، فأثبتناها تنشيطاً لهمم أخوانه، وسننشر ما يرد من أمثاله مما يوافق مشرب الأستاذ خدمة لأبناء البلاد وعصابة المعارف" [100] .

ويبدو أن البعض من تلامذة المدارس تجاوب مع دعوة النديم هذه، حيث كتب بعد ذلك "يسرنا أن نرى تلامذة المدارس المصرية يتسابقون فى مضمار الإنشاء ويشتغلون بتمرين قرائحهم على الكتابة فى مواضيع الآداب والحكم، وقد وقفنا على رسالتين من هذا القبيل إحداهما فى الصيام وفوائده من إنشاء محمد أفندى عسكر، والثانية فيما يجب على التلميذ بالمدرسة من إنشاء محمد أفندى إبراهيم، وكلاهما من تلامذة السنة الرابعة بمدرسة الجمالية، فنحث إخوانهما على مجاراتهما فى هذا السبيل، ولكل مجتهد نصيب" [101] .

وإذا كان النديم قد أشاد من قبل بصدور أول صحيفة تصدرها سيدة، فإننا نجده هذه المرة معنياً شخصياً بإصدار جريدة للمرأة، وذلك استجابة لطلب قدم له من "ثلاث وعشرين سيدة يطلبن بها إنشاء

جريدة تختص بهن لا تعلق لها بالرجال وشئونهم، ويكون موضوعها تربية البنت والولد والتكلم عليهما من يوم وضعهما.. وبيان مضار التربية القديمة ومنافعها... وتكون مشتملة كذلك على أخبار السيدات اللاتى لهن فضل ليقلدن فى فعلهن، ونوادر اللاتى لهن رذائل لتجتنب، وعلى حكايات تقدمها الأمـهات لاـبنين والبنات للتهذيب ونزع ما يدخل أذهانهن من الخرافات التى يسمعنها ممن يعاشرنه" [102] .

وقد اشترط الوفد النسائى على النديم أن تكون الجريدة "بلغة النساء والأطفال وعلل ذلك بعلتين، الأولى أن الأستاذ تجرد من اللغة العادية فيما يختص بالرجال، والثانية جعل الكتابة باللغة العادية وسيلـة للتعـ ـود علـى القراءة حتى إذا تمرنت البنت على قراءتها ترقت لقراءة الكتابة الصحيحة" [103]، ويقول النديم إن الذى حمله على إجابة هذا المطلب أن "قراءة النساء ضعيفة، فإذا أكثرن القراءة فى شىء مألوف انبعثت فيهن محبة المطالعة والاشتغال بكتب العلم والآداب"، ومن ثم فقد شرع النديم فى إجابة هذا المطلب بإصدار جريدة أسبوعية تسمى (المربى)، ويحرص على شكر "السيدات اللاتى اقترحن هذا الاقتراح البديع، كما نثنى عليهن فى اختيار هذا الضعيف لهذه الخدمة"، ومن جانبهن تثنى السيدات على النديم بقولهن "إنه لا يقدر على تحرير جريدة بلساننا ولسان الأطفال إلا مثلك، فلذلك رجوناك هذا الرجاء". ويرجوهن النديم بدوره أن "يبعثن له أفكارهن فى المواضيع التى تطرأ عليهن وما يقع لبعضهن من نادرة أدبية أو واقعة مفيدة مما يصدر وهن خلف الحجاب نشرا لفضائل سيدات العصر كما نشر المتقدمون فضائل من عاصروهن" [104] .

4-مؤسسات المجتمع المدنى ودورها التربوى فى ترقية المجتمع وتنميته:

أسهمت خبرات عبد ا النديم وتجاربه العديدة فى تشكيل وعيه بأهمية مؤسسات المجتمع المدنى وتطلعه إلى تفعيل دورها فى ترقية وتنمية المجتمع المصرى، وحاول من خلال كتاباته وإصداراته إثارة اهتمام أبناء وطنه بتشكيل الجمعيات الأهلية- خاصة تلك ذات الأهداف التربوية أو التى من أهدافها نشر التعليم وإنشاء المدارس- وحفزهم إلى الانضمام لعضويتها وتفعيل أنشطتها.

ومن خلال تحليل كتابات النديم –وخاصة فى مجلة الأستاذ- يظهر أنه عول كثيراً على هذه المؤسسات، ويمكن للباحث الحالى أن يصنف اهتمام النديم بمؤسسات المجتمع المدنى على النحو التالى:

أ-إثارة اهتمام أبناء وطنه وتوعيتهم بأهمية المجتمع المدنى.

ب-الرأى العام ومكوناته وتشكيلاته ودوره فى صنع التقدم والتنمية.

ج-متابعة أخبار إنشاء وتكوين الجمعيات الأهلية وأنشطتها، وخاصة تلك ذات الطابع التربوى والتعليمى.

أ-إثارة اهتمام أبناء وطنه وتوعيتهم بأهمية المجتمع المدنى:

لعل أبرز وأوضح صورة لجهد النديم فى هذه المسألة تتبدى فى السيناريو التخيلى الذى قدمه النديم للقراء على مدى ثلاث مقالات فى أعداد متتالية من مجلة الأستاذ تحت عنوان (المرافعة الوطنية) (105) .

وفى موضوع المرافعة الوطنية تمثل النديم شخصية الوطن الذى خاب أمله فى بعض أبنائه فقام برفع قضية عليهم ظلت متداولة فى المحكمة التى تخيلها على مدى ثلاث جلسات (مقالات)، حيث تشكلت هيئة المحكمة من التمدن والعمران، أما رئيسها – كما تخيل النديم – فالنظام العام، حيث يبدأ النديم سلسلة مقالاته بقوله "رفع الوطن العزيز دعوى على أبنائه فى محكمة الحقوق.... وستنعقد الجلسة المشكلة من حضرات الفاضلين التمدن والعمران ورئيسهم النظام التام" (106) .

وعند المثول أمام هيئة المحكمة بتشكيلها السابق قام النديم شاكياً بلسان الوطن باستهلال دعواه بالتأكيد على "أن الأمة المكفولة حقوقها بمحاكم متنوعة الاختصاص هى أمة المدنية والمساواة فى الحقوق الوطنية...".

ثم أخذ يعدد منحه وهباته لأبنائه قائلاً "هؤلاء أبنائى الذين حضنتهم صغاراً، وبذلت لهم خيرى كباراً، قد أحللتهم فى روضة خصبة الأرض طيبة التربة غزيرة الماء نقية الهواء حسنة الموقع الجغرافى...."، "فهذه حقوق منحوها بعنايتى بهم وحسن توجيهى إليهم، فلم أترك حقاً من حقوق المدنية المنتشرة فى عالمى الشرق والغرب إلا وقد مكنتهم ومنحتهم أياه، وكنت أظن أنهم يؤدون حقوقى الشرعية التى أوجبها عليهم شرع الوطنية وحفظها إلى استيلائهم على حقوقهم الشخصية، فلما رأيتهم تمادوا فى الإغضاء وتغافلوا عن حقوقى التى لعبت بها أيدى الضياع منهم... أطلب من عدل المجلس الحقى تكليف أبنائى بإعطائى حقوقى الشرعية والمدنية... فى أمة تواطأت على أكل حقوق من وفاهم حقوقهم الوطنية والمدنية".

ويتصدى للدفاع عن أبناء الوطن فى هذه المحاكمة التخيلية فيقول "إن أبناء الوطن ما تحصلوا من حقوقهم إلا على شىء قليل، فإن معظم مدنيته لغيرهم، وإنما هم متفرجون على ما فيه فحكمهم حكم ضيف نزل البلاد ليرى ما فيها" (107) .

وتستمر المحاكمة بين أخذ ورد بين الادعاء والمرافعة إلى أن يصدر فى النهاية قرار المحكمة وحيثياته "فبناء على حيثية تهاون أبناء الوطن فى صنائعهم وتتبعهم مصنوع الغير نحكم بإحالتهم على لجنة التأديب لتصدر حكمها النهائى، وبناء على حيثية ميلهم مع الأهواء حتى أضاعوا المال والعقار نحكم بتعذيرهم على لسان الأستاذ والجرائد حتى يرتدعوا، وبناء على حيثية تقصيرهم فى التعلم وارتكانهم على مدارس الحكومة وحدها نحكم باللوم والتعنيف للأغنياء وذوى الأملاك العظيمة زجراً لهم على ما قصروا فيه من إنشاء المدارس الوطنية الأهلية لتربية أبنائهم وأبناء الفقراء على نفقتهم ودينهم وعاداتهم ولغتهم ومألوفاتهم، ونحيل ذلك على الأستاذ ليقرع أسماعهم بما ينبه هذه الهمم الخامدة ويحرك الطباع الساكنة ليتعاضد الناس على فتح الجمعيات الخيرية لتربية أبناء الأمة... فإن أية حكومة فى الأرض يعز بل يستحيل عليها تربية جميع أبنائها، وإنما الأغنياء والجمعيات فى كل دولة هى القائمة بهذه الخدمة... فمن قصر فى ذلك فعلى الأستاذ أن يرده بعصا التهذيب ومعرفة الحقوق الوطنية والواجبات الدينية" (108) .

ويتضمن قرار المحكمة كذلك تكليف "الأستاذ والجرائد المحلية بتنفيذ هذه الأحكام والاستمرار على الزجر والنهى والتهذيب والإرشاد إلى طرق الصلاح والنجاح حتى يستقيم المعوج ويتوب الفاسق ويتنبه الغافل وتجتمع الأغنياء لفتح المعامل والمصانع، وتكون الأمة يداً قوية تبنى بها الحكومة مدنيتها وتحفظ بها ثروتها وتحيى بها معارفها".

ولا يفوت المحكمة فى قرارها أن تناشد "الحضرة الحاكمة أن تساعد الأستاذ بعنايتها على ردع أهل الفساد والأهواء، فإن الكلام يفعل فى النفوس ما لا يفعل الكرباج" (109) .

وإذا كان قرار المحكمة سالف الذكر يسند مهامًا عظيمة وكبيرة لمؤسسات المجتمع المدنى، فإنه يولى عناية كبيرة لدور الصحافة فى هذا الخصوص، ويسند لمجلة الأستاذ دوراً رائداً فى هذا المضمار يتناسب مع أهداف إصدارها وقدرتها على توجيه وتشكيل الرأى العام، حيث أبرزت كتابات النديم العديدة أهمية الرأى العام وتكوينه ودوره فى إرساء وتدعيم مؤسسات المجتمع المدنى، وهو ما يتناوله الباحث فى الجزء التالى:

ب- الرأى العام ومكوناته ودوره فى ترقية المجتمع وتنميته:

إذا كان النديم على وعى ودراية بأهمية المجتمع المدنى ودور مؤسساته فى ترقية المجتمع وتنميته، فإنه كان واعياً كذلك بأن مؤسسات المجتمع المدنى لا يمكن أن تؤتى ثمارها من دون مساندة رأى عام واع مستنير، وهو ما عبر عنه بجلاء فى كتاباته عن "طريق الوصول إلى الرأى

العام" [110]، حيث قسم وقت الإنسان إلى ثلاثة أوقات، وقت للعمل وآخر للنوم وثالث وقت فراغ منهما، ومن ثم يتساءل النديم عن "مقتضى النظر فى الحصول على الرأى العام فى المجتمع المدنى متى يكون؟"، ورأى فى إجابته عن هذا التساؤل أن "وقت العمل غير متيسر فيه تكوين الرأى العام نظراً لاشتغال كل إنسان بخدمته أو تجارته أو صناعته أو زراعته وتفرق المجموع حال العمل تفرق تشتيت"، ومن ثم توصل إلى أن "النظر فى المصالح المدنية والواجبات الوطنية لا يكون إلا فى الأندية والمجامع بتبادل أفكار الأمة سؤالاً وجواباً وسلباً وإيجاباً بما عند الأفراد من الأخبار الطارئة والحوادث العارضة والمسائل العلمية والوسائل التجارية والبواعث الوطنية والحوافظ الملكية والخصائص الجنسية والفوائد اللغوية والمحسنات المدنية، فإنه يستحيل على فرد أن يستقل بهذه العلوم نظراً وبحثاً وتنفيذاً مهما ارتفعت درجته فى المعارف واتسعت أفكاره بالتجارب، بل لابد له من أيد يكثر بها العمل وألسنة تنتشر بها الفوائد وأصوات تسمع القاصى والدانى ممن تجمعهم الوطنية أو تضمهم الجنسية أو تعمهم السلطة الدولية، وهذا لا يكون إلا باجتماع العقلاء لتبادل الأفكار المنتج للرأى العام" [111]، ووقت الفراغ هو الوقت الملائم لتحقيق كل هذه الأنشطة والعمليات، ورأى النديم بخبرته أن الناس يتفاوتون فى استثمار أوقات فراغهم، ومن ثم صنفهم إلى ثلاثة أقسام، الأول أطلق عليه "أهل الاجتماع فى البيوت وهم الأمراء وأرباب الوجاهة والاعتبار الذين لا يتنازلون لمشاركة صغار الأمة وضعفائها فى المباحث السياسية والمحسنات المدنية، وهذا القسم وإن تعالى عن أفراد الأمة بما له من المكانة، وقيامه بوظائف عالية تضطره إلى راحة الفكر تارة واستعماله حيناً فى واجبات الدولة وحقوق الأمة، لكنه الفاتح لأبواب المباحث للطبقة التى دونه بما يبديه من الأعمال والأقوال، فهو بالنسبة إلى الأمة كالمؤلف الذى يعرض كلامه على أهل البحث والانتقاد وإن كانت أوامره محترمة بالنسبة لعلو مقامه، ولكن احترامها لم يمنع العقلاء من النظر فيها وتبيين فـ ـوائـ ـدها ومضارها، وأولى الناس بالبحث والتدقيق فى هذا المقام محررو الجرائد ورجال المعارف" [112] .

أما القسم الثانى فى تصنيف النديم فيطلق عليهم "أهل الاجتماع فى المجامع الأدبية من النبهاء والعقلاء، وهؤلاء إن كان اجتماعهم للنظر فى مصالحهم الذاتية وطوارئهم البيتية فقد قطعوا من جسم المجتمع المدنى عضواً عاملاً وعطلوا وظائفه التى كان يؤديها لو لم يتقيد بذاتياته، وإن كان اجتماعهم للخدمة الوطنية والقوة الدولية ومبادلة الأفكار فيما يقدم الأمة علما وصناعة وزراعة وتجارة، والبحث فى الضرورات المدنية والقواعد الملية والمحافظة على شرائع الأمم وتعريف كل طائفة طريق المحافظة على الأصول الدينية والعوائد الوطنية والحقوق الملكية وتعضيد القوة الحاكمة

بالمساعدة الأدبية وسكون الأفكار ولزوم الهدو فى الحركات والبعد عن الفتن وتهييج الأفكار... كانت مجامعهم أندية فضل ومجالس علم تتعلق بنجاحها الآمال" [113] .

ويشترط فى رجال هذين القسمين – كما يرى النديم – "سلامتهم من كل ما يخدش الشرف أو ينزل بهم إلى مجامع الغوغاء ومجالس التهمة لكونهم أئمة الأمة يقتدى بهم فى كل ما يصدر عنهم من القول والفعل... ولا يعول فى أخذ الرأى العام إلا عليهم ولا تتوفر شروط الكمال والاستعداد إلا فيهم".

أما القسم الثالث وفقاً لتصنيف النديم فهم "صغار الخدمة ومتوسطو التجار والعمال والصناع، وهؤلاء كالعنوان للأمة التى منها، فكلما كانت الآداب والعلوم فاشية فيهم كلما كانت عصبية الأمة قوية الجانب عظيمة الشأن" [114] .

ولما كان الناس قد درجوا على الخروج إلى الأماكن المعدة للاجتماع العام عند فراغهم من الأعمال ترويحاً للنفس وتنشيطاً للفكر، فقد تنوعت هذه الأماكن بحسب العادات والأذواق الاستحسانية، فمنها مجامع الرياضة الفكرية مثل المقاهى، ومنها مجامع الرياضة النظرية كالتياترات، ويشذ عن المجامع الأدبية مجامع اللهو والفحش كالبير والخمارات والمراقص والمقامر، ولذا يرى النديم أنه لا ينزل من فضيلة الكمال التى يدركها فى المجامع الأدبية إلى رذيلة النقائص فى مجامع اللهو إلا من رضى لنفسه الانقطاع عن الهيئة المدنية والانتظام فى سلك المتوحشين أو الراجعين إلى البهيمية بمنظر من أهل المدنية" [115] .

وبعد استعراض النديم للرأى العام ومكوناته وأهميته للمجتمع المدنى ينتهى إلى أن "الرأى العام لا يـؤخـذ إلا مـن المجامـع الأدبية كيف كانت والأندية الرياضية الخالية من الغوغاء ومـألـوف المفتـونين، فإذا فقدت أمة هذه المجامع واستبدلتها بمجامع اللهو واللعب فعلى رأيها العام السلام" [116] .

ج- الجمعيات الأهلية ودورها فى ترقية وتنمية المجتمع المدنى:

تابع النديم بدأب شديد إنشاء وتكوين الجمعيات الأهلية، ربما لقناعة لديه بأنها إحدى المجامع الأدبية التى رأى أنها مجال من مجالات تكوين الرأى العام، بل وحرص على الإعلان عن ظهورها منوها بأهدافها مناشداً المواطنين الإسهام فى أنشطتها، بل إنه هو نفسه تبوأ رئاسة إحدى هذه الجمعيات، كما أثنى بصفة خاصة على الجمعيات ذات التوجهات التربوية أو التى من أهدافها نشر التعليم وإنشاء المدارس.

ومن ذلك على سبيل المثال ترحيبه بإنشاء (جمعية الكمال بأسيوط)، ويتمنى لها "النجاح والتقدم ونثنى على همتهم التى حملتهم على اقتحام عقبات التعليم بعد الكبر خصوصاً وأنهم يتعلمون فناً لم يعرفوه من قبل ولا أخذوه عن أستاذ" [117] . وبمناسبة تأسيس جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية فى أكتوبر 1892 يكتب النديم عن أنشطتها ومن أهمها إنشاء مدرسة ليلية يتعلم فيها أعضاء الجمعية، وأشفعوها بمدرسة نهارية يتعلم فيها أبناؤهم، وقد اهتم النديم بزيارة هذه المدرسة وأثنى عليها متمنياً "لو اقتدى الشبان والشيوخ بهذا العمل المبرور وأكثروا عدد الجمعيات العلمية بهذه الصورة... إذ بكثرة الجمعيات العلمية تكثر المدارس فتعم المنفعة" [118] ، وتجاوبا مع هذه الأمنيات تعلن نفس الجمعية السابقة عزمها على توسيع نشاطها وافتتاح مدرسة للبنات لأن الجمعية شعرت "أن البنات أشد احتياجاً للمساعدة من البنين، من حيث أن فساد الرجل منحصر فى نفسه، عائد على شخصه، أما فساد المرأة فمتعد إلى من حولها من البنين والبنات" [119] .

وفى عدد آخر من مجلة الأستاذ ينوه النديم إلى ظهور جمعيتا المسامرة والفتوح الخيرية وهما جمعيتان تشخيصيتان، وقد أثنى على همة أعضائها وتمنى لهم النجاح، "فإن فى نجاحهما حياة الآداب واتساع دائرة التهذيب خصوصاً وأنهم من الوطنيين الذين تشرف باجتهادهم البلاد وتسر بمعارفهم العباد" [120].

5- ثقافة المقاومة ونهج التحرر والاستقلال

كانت قضية الاستقلال والتحرر من الأجنبى هماً كبيراً وقضية محورية عند النديم، حتى يمكن القول إن جل، إن لم يكن كل كتاباته- وفقاً للتصنيف المتبع فى هذا البحث – كانت تدور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حول سبل تحقيق هذا الهدف، ففى تناوله – على سبيل المثال – قضية الوحدة الوطنية ومناداته بالحرية الدينية كان يهدف إلى عدم إعطاء ذريعة للمحتل بالتغلغل والبقاء بدعوى حماية الطوائف الدينية غير الاسلامية، وتناوله لقضية انتشار المخدرات والمسكرات بين بعض طوائف الشعب كان اعتقاداً منه بأنها قد تكون مؤامرة ينسجها الأجانب حتى يقولوا إن الشرق ليس به رجال وغير مؤهل للاستقلال [121]، وفى تناوله قضية المنتج الوطنى: دعوته لتشجيع الصناعة الوطنية كان الهدف تحقيق الاكتفاء الذاتى والاستقلال، وما كان اهتمامه بإبراز الهوية الوطنية والقومية ومطالبته بدعم وتعزيز اللغة العربية ليخرجان عن هذا الإطار، لأن الفرد "إذا ترك لغته بلغة أخرى لزمه التخلق بأخلاق أهلها واستحسان ما هم عليه من العادات والمألوفات...، وينطـــوى

تحت ذلك بغضه من غايره وحبه من ماثله، فيكون أجنبياً فى قومه أو فى قوة الأجنبى" [122]، وهكذا كان الحال أيضاً فى دعوته للاهتمام بنشر التعلم وإنشاء المدارس وتدعيم مؤسسات المجتمع المدنى.

ومن هنا يمكن القول ان النديم توافرت لديه معالم فلسفة ومنهج متكامل للتحرر والاستقلال ومقاومة الاحتلال الأجنبى لمصر، كما كان على يقين بأهمية تكاتف جهود كل أبناء الوطن لتحقيق هذا الهدف، وهو ما يمكن أن نطلق عليه فى البحث الحالى (ثقافة المقاومة)، حيث تغير نهج النديم تماماً فى هذه الحقبة فى مقاومة الاحتلال عنه إبان الثورة العرابية التى كان خطيبها وثائر من ثوارها.

ويبدو أن فشل الثورة وتجربة الاختفاء عشر سنوات قد ولدا دروساً أنضجت خبراته وأتاحا له فرصة مراجعة كثير من أفكاره حتى توصل إلى هذا النهج الجديد لثقافة المقاومة، ولذا كانت كتاباته فى مجلة الأستاذ تختلف تماماً عما سبقها، وهو ما يتضح من مطالبته أبناء وطنه باستمرار فى كل أزمة أو مشكلة وطنية بالتزام الهدوء والحذر وعدم الثورة – وهو الثائر القديم – حتى لا يكون ذلك تكئة للمحتل للبقاء بدعوى حفظ النظام والأمن فى هذه المنطقة المحورية من العالم، وفى واحد من الأعداد الأولى من مجلة الأستاذ يبسط النديم منهجه الجديد فى المقاومة فيقول مخاطباً أبناء وطنه "أحب الأستاذ أن يكون خاف الناصحين ليخدمك بقدر ما يمكن ويبين لك بعض ما اقتبسه من حكم إخوانه واكتشفه من خفايا وضغائن المصطنعين... إن أحسن ما اتخذته قاعدة تبنى عليها تقدمك الهدوء والسكون والبعد عن أهل الفتن، وأفضل أساس تضعه لعمار بلادك تعاونك بأخيك على تمهيد طريق التقدم. إياك أن تظن أن التقدم موقوف على ثورة تريق فيها الدماء، فإن من زين لك هذا العمل فقد أضلك وأسلمك إلى الغير. لا يتوقف التقدم إلا على قطع الأضغان وترك التنافر بالدنيئات، وجمع الشتيت مما تفرق من الأجناس الشرقية، ولا يكون ذلك إلا بالتربية على الآداب ومكارم الأخلاق... وإياك أن يحملك الطيش على أن تسىء معاملة أجنبى استوطن بلادك أو اجتاز بها فتجلب الدمار على بلادك... فإن أوروبا لا تلتمس من الأعذار عن تداخلها فى الشرق إلا دعوى همجيتنا وعدم استعدادنا للقيام أمامها بمواد العمران وضروريات المدنية...." ثم يعود ويكرر فى موضع آخر "ولا أزال أكرر عليك لزوم الهدوؤ والسكون وحفظ حقوق الوطنيين والغرباء والأجانب واستعمال الرفق واللين مع الجد فى إحياء العلم والصنعة وتقدم الزراعة..." [123]، لأنه لا ينجح "ثائر تجردت جماهيره من المعارف وبعدت عن الصنائع والتفنن فى الآلات، واندفعت خلف الأهواء...، لأن الحياة الوطنية هى انتشار المعارف والصنائع فى الأمة، وأن التهور والتذمر مع الجهل والفراغ من المعدات لا يفيدان إلا الخذلان، إذ ليس لطالب المعارف والصنائع سلم يرتقى عليه إلى الحياة الوطنية

إلا الهدوء والسكون وقطع الوقت فى تحصيل المراد منها حتى تتهذب الأفراد وترسخ أقدام الآخذين بيد النظام...." (124) .

وبعد أن يفرغ النديم من بسط منهجه الجديد فى المقاومة يستهل دروسه التهذيبية لغرس ونشر هـذه الثقـافة بمقال مطول يشغل 25 صفحة من مجلة الأستاذ اختار له عنوان (لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا) (125) يستعرض فيه النديم من منظور تشخيصى بعض المقولات التى تركن إليها أوربا لتبرير وجودها بالشرق، فيكتب مخاطبا أبناء الشرق "قالت أوربا إنكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صنع الأثاث واللباس وأنكم فى حاجة إلى مصنوعنا ولا تصلون إليه إلا بعقد المعاهدات التجارية، وبذا تمكنت من إدخال مصنوعها فى الشرق لتحول الثروة إليها فأماتت ما كان يصنعه الشرقيون وحجرت على ما لابد منه من صناعة الشرق... فالشرقيون أجراء يزرعون ويحصدون ويصنعون ليروجوا تجارة أوربا ويعظموا ثروتها....." (126) .

بل إنهم "يوهمون الشرقيين بعدم صلاح بلادهم للصناعة وبتعذر الآلات والمعدات متناسين أن كثيراً من الأمم استعانت بآلات اشترتها من الغير وأحيت صناعتها الوطنية وحتمت على أهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير حفظاً لثروة اهلها" (127) .

"وقالت أوربا إن وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم بأخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش، فلابد من مجاراتنا فى حركاتنا المدنية لتساوونا فى الرتبة، ومنحت لنا البير والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران، فغفل الشرقيون عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف، وانكب الأغبياء والمغفلون على الخمور فساءت أخلاقهم وضعفت عقولهم وفسدت عقائدهم...، وكلما تهالك الشرقيون على الخمور والملاهى... أصبحوا بهذه القبائح والفضائح لا شرقيين ولا غربيين، واتخذتهم أوربا لتنفيذ آرائها ووصولها إلى مقاصدهم من الشرق وهى تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية..." (128) .

"وقالت أروبا إن الشرق فى حاجة لتداخل أوربا لإصلاح إدارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الأوروبية.... والداهية الدهياء أن ملوك الشرق وعظماءه ملأوا قلوب أممهم بالأوهام وخوفوهم من الأوربى... وكانوا أقوى يد للأوربى فى تداخله واستيلائه على ممالكهم، فلو ربوا رجالهم على الحماسة ومرنوهم على الأعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيتهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة، وهذبوهم بالأدبيات، وصانوهم من المفاسد العقلية، وعلموهم العقائد الدينية، ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية

عـارفـة بمـا يقدمهم وينفعهم وأوقفوهم على تواريخ آبائهم... لوجدوا أمامهم رجال وأى رجال...." [129] .

ويؤكد النديم "أن أى دولة من دول أوربا لم تدخل بلداً شرقياً باسم الاستيلاء وإنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدنية، وتنادى أول دخولها أنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ فى تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً" [130] .

وبعد أن يعدد النديم ما يقوم به المحتل بمصر، فإنه لا يلقى باللائمة إلا على المصريين أنفسهم، فيقول متسائلاً "لماذا نتألم من أعمالها (يقصد انجلترا) وأمراؤنا اقتصروا على القعود فى القصور وركوب العربيات للتفسح فى المتنزهات، وعقلاؤنا صامتون لا ينطقون بكلمة رجاء أو صوت استصراخ، وضعفاؤنا حيارى ينتظرون هؤلاء وهم عنهم لاهون، ونبهاؤنا فى المحافل يتحاورون ويتناظرون بما لا يفيد الوطن... متعللين بان محافلهم لا تتعرض للسياسة ولا للـدين، فـإذا انصرف النبهاء عن وجهتى السياسة والدين فبمن تقوم الأعمال ويتقوم أود الحكومة..." [131] .

ولذا يقرر النديم أن أهداف أوربا فى بسط نفوذها على بلادنا لا تتحقق "بأكثر من صرف نبهاء البلاد عن النظر فى الملك والدين ليخلو لها الجو فتفعل ما تشاء وتغير ما تشاء، مع أن النبهاء يمكنهم أن يستخدموا محافلهم فى مصالح بلادهم فيتمكنوا بقواهم العقلية مما لا يمكنهم منه سيف ولا مدفع، من غير إثارة فتنة أو إراقة قطرة دم، ويصلحون ما أفسده الاغترار والانخداع، ويحدثون فى البلاد عصبية وطنية لا تردها أعظم أمة عن مشربها المصرى وسعيها المؤيد بربط القلوب على عزيمة واحدة صادقة" [132] .

وما أن يفرغ النديم من طور التشخيص حتى يدلف مباشرة إلى طور العلاج والإصلاح الذى يستهله بـوجوب أن "نتقـدم فـى التجارة والصناعة والزراعة والمعارف، ونقبض على أزمة أمورنا...." [133]، ويتساءل النديم وهو بصدد تحديد النهج والطريق عن "أى مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الأدبية، وهم فى ذلك ليسوا أقل شأناً مما فعله الغزالين الانجليز أنفسهم الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم وأذهلوا العالم بأفعالهم التى ما دخلها شغب ولا تخللها خلل" [134]، وفى هذا الصدد ينفى النديم أنه يدعو إلى الثورة فيقول "وكأنى بدخيل يوسوس للأجانب قائلاً إن الأستاذ يدعو إلى ثورة مصرية... فقد تعودنا سماع الأراجيف من الدخلاء وتسليط الأوروبيين على كل بلد نودى فيه بالمحافظة على وطنيته... إن المصريين قد حربوا أنفسهم فى التظاهر بالقوة فوقف شقاقهم بينهم وبين الظفر بالمقصود....، وما يدعوهم الأستاذ إلا إلى مجاراة أروبا وبين قيامهم فيه من معرفة قدر نفوسهم والمحافظة على حقوقهم ولغاتهم وأديانهم وعوائدهم والدأب خاف

الاستقلال بأعمال بلادهم... والأستاذ يعرض مقالته على كل عاقل منصف مصرياً كان أو غير مصرى، وأظنه لا يسمع إلا قول المخلصين. إنها أخبار بحقائق وطلب بحقوق لا تمس شرف رجل ولا تتعرض لأمة ولا تطعن فى سياسة وإنما هى محض درس تهذيبى لمن يسوؤهم قول الأوربيين لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا" [135] .

ولا يجد النديم أمامه إلا أن يرفع عقيرته مستنهضاً همم أبناء وطنه مستجمعاً قوتهم "يا بنى مصر لم تبق قطعة من الأرض إلا والجرائد تنقل لكم أخبارها وتريكم أعمالها، فإذا لم تكونوا أهلاً للاختراع- كما قال لكم أحد الانجليز- فقلدوا عقلاء أوروبا فى أفعالهم وكفاكم الاعتزاز بترهات المضلين واللياذ بالأجنبى الذى سلبكم ثوب المجد..."، ويقول "أما تتحرك الهمم الخامدة لفتح مجال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيراً وتفتح بيوتاً أغلقت أبوابها أو كادت...".

"ألا تقدرون على عقد شركات تشترى أجزاء من أطيان الدائرة لتربحوا منها وتستخدموا فيها أخاكم الفلاح وتعوضوا بعض ما أضاعه الإسراف فى الملاهى والخروج عن الحد وصيره فى يد الأجانب".

"أفلا يحسن فى أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم تهذبونهم فيها وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوروبية التى تغرسها ببلادنا مدارس أوروبا فى أذهانهم، تداركوهم قبل أن تفقدوهم، عرفوهم أنكم آباؤهم قبل أن ينكروكم، لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم، حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم، ردوهم إلى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدمائكم إلى من ربوهم وتبنوهم" [136] .

وبعد تصاعد وتيرة نداءات النديم لأبناء وطنه موضحاً فلسفته ونهجه الجديدين فى نشدان الحرية والاستقلال، واعتماده أسلوب المهادنة ونشر ثقافة المقاومة السلمية للاحتلال، تخف وتيرة النداءات أكثر عندما ينشد التغيير فى نفوس المصريين أولاً، فيقول "آن وا أن يتبصر المصرى ويشابه رجال أوروبا فى الأخذ بالحزم والاعتماد على صدق العزم حرصاً على ما بقى وطمعاً فى فرص المستقبل... فإننا نعلم أن صيانة بلادنا موقوفة على حفظ الراحة ومعاشرة الأجانب والنزلاء بالمعروف، وبقائنا على الهدوء والسكون وبعدنا عن الفتن التى يحركها الدخيل والأجنبى لمصلحة دولته فيجنى ثمارها ويلحقنا عارها...." [137].

"أيها المصريون جاهدوا أنفسكم فى توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن أبواب أوروبا وفتنها واخدموا بلادكم بظهوركم أمة واحدة... والمحافظة على حقوقها والمطالبة بخصائصها، ولا تشغلكم المظاهر الأجنبية عن تصحيح أغاليطكم وتطهير بواطنكم، ولا تظنوا أنكم عاجزون عن استرجاع

مجدكم والقيام بأعمالكم، فإنما أنتم بشر مثل رجال أوروبا، ولكنهم تجمعوا وافترقنا وعرفوا حقوقهم وجهلناها، ورفضوا نصائح الغير وقبلناها، وحفظوا دينهم ولغتهم وجنسيتهم وتهاونا فى البعض وتركنا البعض، فإذا جاريناهم فى طرقهم الوطنية ساويناهم فى الخصائص والمزايا ودونا لنا تاريخاً جليلاً يفتخر به الأبناء وترحم بسببه الآباء" [138] .

وينتهى النديم من درسه التهذيبى إلى استنهاض ما بقى فى نفوس أبناء الوطن من كرامة ومجد، فيقول "أفيليق بمن هذه صفتهم أن يكون غاية تهذيبهم قعودهم على القهاوى وفى الخمارات، أو اجتماعهم للتشاتم والتقاذف والسعى فى المضار" [139] .

وإذا كان النديم قد اتجه على استحياء فى المقال السابق إلى نشدان الهدوء والحذر كمدخل لفلسفته للمقاومة- وذلك لما قد يكون عالقا فى مخيلته من أحداث عام 1882 وفشل الثورة العرابية – فإنه فى مقالاته التالية أخذ يلح على هذا المطلب ويؤكد عليه بشدة، فما كادت تنشب أزمة بين الخديوى عباس حلمى الثانى وسلطة الاحتلال الانجليزى ممثلة فى اللورد كرومر نتيجة حرص الخديوى على ممارسة اختصاصاته وحقوقه دون تدخل من الانجليز، وتأييد المصريين الجارف لأميرهم فى هذه القضية، حتى انبرى النديم مخاطباً "علينا معاشر المصريين أن نلزم الهدوء والسكون فى حركاتنا وأن نكف عن القيل والقال، فربما عثرت الألسنة بما تحب أن يسمع من أفواهنا، وأن يشتغل كل منا بعمـله الخـاص إن كان إدارة أو تجارة أو زراعة أو صناعة، فإن أوروبا تتربص بنا الدوائر...." [140] .

وبعد أن انتهت الأزمة، وحتى لا يعد هذا تخاذلاً ووهنا من الثائر القديم يلمح النديم إلى أن "...جيش الاحتلال فى قلاعنا وحصوننا، ورؤساء الجند المصرى من الأجانب، ومياهنا خالية من أساطيل تحميها، ولا حاجة تدعونا للتظاهر العدوانى، بل لا موجب لشىء تتحرك له النفوس لكون حقوقنا مكفولة، فلم يبق إلا أن نتخلى عن كل هرج ومرج، ولا نكثر من تأويل العبارات والتهويل فى التعبير بما يهيج النفوس ويوغر الصدور"، "لأن العاقل إذا وصل الغاية المقصودة له أو حصل المبادىء الموصلة إلى الغاية لزمه أن تهدأ أفكاره وتسكن حركاته، وأن يأخذ الأمر بالرفق والتأنى ويبعد عن الطيش والحدة والتهور لتكون الهمة المبذولة له لا عليه" [141]، ثم يردف "ونحن وإن كنا أبعد الناس عن الحركات العدوانية، ولكن من لا يرضيه سكوننا ربما بث فينا أهل فتن أو أغرى بعض الحمقا على فعل ما لا يحمد تهييجاً للأفكار وتذرعا للفتنة، فأقدم خالص النصيحة لأخوانى المصريين على اختلاف أديانهم أن يقرؤا العواقب ويبعدوا عن كل ما يكدر الراحة... وكلنا يعلم أن

عواقب الحركة السابقة فى سنة 1882 كانت وخيمة على البلاد... فكأنها إنذار أبدى يخوفنا كل وقت من سوء عاقبة الهيجان واشتعال الافكار..." [142] .

وفى مقال آخر يواصل النديم عرض منهجه فى المقاومة مسدياً النصيحة لبنى وطنه بألا يغتروا بكلام المنافقين المهيجين، وأن يقفوا عند حد السكون والهدو معرضين عن كل منافق كيفما كانت دعواه فى النصح والإخلاص...." والحذر الحذر من تشويه وجه الأمن بقول أو فعل أو التعرض لأجنبى بسوء.... فقد شهدت أوروبا بأنكم على أحسن ما يكون من الهدو والسكون" [143] .

وفى مقال آخر يرسم النديم خطة للوطن لمقاومة الاحتلال الأجنبى، ففى معرض إجابته عن سؤال يحمل عنوان مقال (هذه يدى فى يد من أضعها) يقول النديم: "ضعها فى يد وطنيك... وإلا فقطعها خير من وضعها فى يد أجنبى يستميلك بوعود كاذبة وحيل واهية.... ويحول أفكارك الشرقية إلى أفكار غربية تأخذها وتقول بها، فتكون يده القوية وعونه الأكبر على ضياع حقوقك وإذلال إخوانك واسترقاق أهلك" [144]، والنديم بهذا الحديث يرسى دعائم ثقافة المقاومة وأسلوب مواجهة الأفكار الوافدة، كما يدخل فى إطار ثقافة المقاومة إشعار المحتل بالعزلة وعدم الوقوف بأبوابه لأى شأن كان "فإن وقوف العامى بباب الأجنبى لياذاً والتجاء قبيح شنيع، ووقوف العظيم أرذل وأفظع، ونحن فى وقت اضطر فيه الأجنبى للاحتيال على بعض أهل البلاد بتودده إليهم وتردده عليهم بعد أن كانت العظمة تمنعه من قبول الزائر منهم" [145]، "وبالجملة فإننا فى حاجة لهجر الباب الأجنبى وملازمة أبواب حكامنا الوطنيين مع المحافظة على حقوق المستوطنين... فإن زيـارة بعض الأفراد لأجنبى تزين له السعى فى بسط سلطته وتهيىء له أن الأمة من هذا القبيل....." [146] .

ورداً على تملك الخوف والفزع قلوب كثير من الناس من جراء تعالى حدة تهديدات بعض الدول، وما قد يحدث من حروب وغزوات نتيجة غطرسة القوة الناشئة لدى هذه الدولة وحشدها لقواها وعتادها، يرى النديم- استمراراً لمنهجه وفلسفته فى المقاومة- "إن السكون أحسن ما تحلى به الشرقيون الآن طارحين إيهام المهددين خلف ظهورهم ضاربين بأقوال المنذرين حائط الإهدار منصرفين عن هذه الترهات.... والمحافظة على الأمن العام، وقيام كل عامل بعمله على قانون العدل وطريق الاستقامة" [147]، كما يحذر النديم "من مقاربة المضلين ومخالطتهم ونطالب منهم أن يقرؤا عواقب ما هم فيه من الشدة وينظروا المستقبل بعين البصراء الذين لا تزعزعهم العواصف ولا تستميلهم الأباطيل مع التزام الهدو والسكون وعدم الميل إلى الأوهام وما ينصبه الأعداء من أشراك الهيجان والاضطراب، فإنهم إن لزموا هذه الحالة قاوموا كل تهديد ووعيد" [148] .

وإذا كان الدرس السابق من دروس النديم التهذيبية –كما كان يطلق عليها- تركز على جوانب المقاومة السلبية، ويحدد دور أبناء الوطن فى المقاومة وفقاً للبعد الآنى، فإن النديم فى دروسه وكتاباته لم يغفل البعد المستقبلى المتمثل فى أهمية تربية القيادات السياسية والإدارية القادرة على قيادة الأمة وتوجيهها فى كافة المجالات، وهو ما يركز عليه المحور التالى من محاور الدراسة.

6- تربية القيادات الإدارية والسياسية ودرس الإصلاح السياسى والإدارى:

فى هذا الدرس من دروس الإصلاح السياسى والإدارى يقارن النديم بين اهتمام الغرب وأساليبه فى تربية قياداته السياسية والإدارية، وما آل إليه حال الشرق فى هذا المجال، ويرى أن القائمين بأمور الأمة فى الغرب "يربون الرجال تحت حضانتهم باحتكاك الأفكار والمشاركة فى الأعمال وترقية المؤهلين إلى الرتب العالية بعد التجربة والاختبار والتمرين على شاق الأعمال والتربية فى الإدارات المختلفة المواضيع، وبهذا ارتفع كثير من العقلاء إلى رتب الوزارة والقضاء وولاية الأقاليم، وأخذ كل رئيس يربى رجالا يخلفونه إذا انقضى دوره ويمدونه بآرائهم إذا قبض على زمام الأحكام" [149]، وفى مقابل ذلك يرصد النديم "إعراض رجالنا الشرقيين عن تربية الخلف والأعضاء ونوم الأفراد تحت ردم الغفلة أو الخوف الوهمى... ونرى حول كل وزير ووال ومتصرف ومدير ومفتش ومأمور زمراً توسم بالمحاسيب وهى أخلاط من الغوغاء والرعاع يستعملهم مع الجهل فى الإدارات والوظائف فيعيثون فى البلاد....، وبهذا ضاعت المصلحة الوطنية وتوزعت فى الشهوات والأهواء، وإذا رأينا تخلخل وزارة أخذنا نهجس ونخمن فيمن يكون بعد الحاضر لعلمنا إنه لا يوجد من المرشحين المؤهلين لهذا المنصب إلا فلان وفلان وما لم يربيا أحداً مدة توليهما الأحكام، وبهذا السير اختلت ممالك الشرق وكثر فيها الفساد وتمكن الأجانب والدخلاء من الرؤساء الذين لم يربوا أحداً من أهل بلادهم وخافوا من العقلاء من قومهم وظنوا أن استخدام الدخيل يقيهم فتنة الرعايا ويؤيد سطوتهم فيهم فأكثروا منهم" [150] .

وإذا كان النديم يرى أن النظام لا يتم "على ايدى أناس لا رابطة بينهم وبين المحكومين ولا أمل لهم إلا الاسترزاق أو تمكين سطوتهم" [151]، إلا أنه لا يتفق فى الرأى مع بعض من يظنون أن الإصلاح السياسى والإدارى "لا يكون إلا بإبعاد الأجانب عن الخدمة" [152]، وإنما يتم الإصلاح "بوضع الأعمال فى أيدى أكفاء مدربين عليها عارفين بأحوال البلاد يهمهم إصلاح وانتظام إدارتها تبعثهم إلى ذلك الوطنية والهمة والنشاط وحسن الاستقامة، لأن أحسن ما قيدت به الأمم إلى طرق الإصلاح وضع مقاليدها بأيدى قوم تحبهم ويحبونها" [153].

وليس معنى ذلك- كما يرى النديم- التعصب ضد الأجانب واستبعادهم تماماً وإنما "وضع مصريين معهم أكفاء يهدونهم الطريق ويعلمونهم ما يوافق الأمة وما به يتم النظام" [154].

وإذا كان ما سبق يشير إلى منهج النديم فى الإصلاح الإدارى وتربية القيادات الإدارية والذى يتسم بالتدرج وبالتروى، وهو ما يتبدى فى طلبه من إخوانه الوطنيين "أن يقرؤا هذا الدرس التهذيبى ولا تـدفعهم شـدة الألم من الغير إلى توسيع الآمال وسعيهم فى نقض ما بنى فى سنين فى يوم واحد" [155]، إلا أنه بعد مدة وجيزة لا تتعدى الشهرين وفى مقال يعبر عنوانه عنه (بمن أقتدى إذا اختلفت الآراء) [156]، يظهر ميلاً شديداً إلى الإسراع بوتيرة الإصلاح الإدارة والسياسى، فبعد أن كان لا يرى ضرراً من "التوفيق بين المصريين والأجانب بمزج العمال وتوحيد السير حتى يتعلم من الأجنبى مع المحافظة على روابط المحبة التى بيننا وبين طوائف العالم ودول المعاهدات" [157]، نجده يعود ليتساءل مستنكراً "كيف يقتدى العاقل بنازح عن داره؟" [158]، "فالعاقل من إذا نزلت به النوازل اعتصم بإخوان الوطنية وكان من آراء الغير على حذر، ونحن معاشر الشرقيين فى حاجة إلى نقد الأفكار وتفتيش الآراء، لنبذ الضار والأخذ بالنافع، ولا ينبغى الاعتماد على ذوى المظاهر العلمية والإدارية قبل أن نعرض أفكارهم على المبادىء والخواتيم، فإن الحائز لثقة الناس به كثيراً ما تدعوه العجلة للسقوط فى وهدة الارتباك فيقول من غير ترو ويعمل بغير تدبير، لعلمه بأنه لا يعارض قوله ولا يقبح عمله" [159].

ويرى النديم أن الأمم الأوروبية وهى بسبيل مواجهة المثالب سالفة الذكر قامت بتدارس "هذه المقدمات وعلمت ما وراء الاقتداء بالنزلاء وأهل الشهرة والانحطاط فاعتمدت على مجالس شوراها لتستخلص من تضارب الأفكار واختلاف الأحزاب قواعد لا تنقصها الحوادث وقوانين تلائم التابع والمتبوع وتبقى بها دعائم الدولة قائمة على أساس متين" [160]، كل هذا يحدث فى الأمم الغربية بينما نحن فى الشرق- يقول النديم "قعود على قارعة الكسل والتهاون نكتفى بالتفرج على الأمم العاملة ونفرح بما نراه من فوزها ونغضب إذا تأخر فريق منها، وقد انصرفنا عن مصالح أوطاننا وعمينا عن طرق تقدمنا وحيل بيننا وبين مجاراة هؤلاء العقلاء" [161].

ويرد النديم على من يطلق عليهم –محبو الأثرة والانفراد بالتسلط- الذين يزعمون أن الشورى لا تنجح فى الشرق أو أن الشرقيين غير عقلاء بأن "اتحاد الشرقى مع الغربى فى الخلق يرد هذه الدعوى الباطلة" وأن الفرق بينهما يتبدى فى مثابرة الغربيين "على العمل بالشورى وأخذوا يصححون الأغاليط ويراجعون الخطأ ويتبادلون الجدل عن عزائم صادقة حتى تربت الملكات وتصورت المطالب أمامهم بصور الواقعيات، وما أوصلهم إلى هذه الغاية إلا اعتمادهم على الفضلاء والأذكياء

منهم حتى اضطر الأغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التى بها ترشحوا للدخول فى أندية الشورى، ووقفوا أمام ملوكهم حصونا تقيهم الفتن الداخلية والغوائل الخارجية، فماذا على الشرقيين لو جاروهم فى هذه الطريق، وهى سهلة لا حزن فيها ولا وعورة ولا يلزم للدخول فيها أكثر من انتخاب العقلاء والفضلاء وانسلاخ أهل الذاتيات من التوجه إلى الوجهة الأجنبية وجمع الكلمة على توحيد السير فى مذهب وطنى لنخرج من مضيق هذه المصيبة التى أصيب بها بعض نبهاء الشرق من خدمة الأجنبى ولو ببيع الوطن إليه، وما وضعهم فى هذه النقطة الذميمة إلا التربية الأجنبية من جهة وتغافل الملوك عنهم من جهة أخرى" [162].

ولتدارك ذلك يطلب النديم من هذه الفئة القيام على "تربية أبناء بلادهم على حب الوطن والملة والدولة، وتدريبهم على الأعمال الإدارية والحربية والصناعية وترقيتهم بقدر استحقاقهم، وسد باب الأجنبى أمامهم بإعطائهم الحقوق الوطنية والملكية وتسليمهم الأعمال العالية التى ترشحوا لها واستعدوا للقيام بأعبائها" [163] .

7-تشجيع الصناعة الوطنية وتحسين المنتج الوطنى كمدخل للاكتفاء الذاتى وتحقيق الاستقلال:

تميزت كتابات النديم بالتعدد والتنوع، وكان أن أشد انتباهه توجه أبناء وطنه المتزايد نحو الاستهلاك وشراء المنتج الأجنبى دون حسابات وقواعد اقتصادية سليمة الأمر الذى يمكن ألا يسهم فى النهاية فى تحقيق غاية الاستقلال والتحرر والسيادة الاقتصادية والسياسية، فعكف على نشر مجموعة مقالات تتسق مع هدفه من إصدار صحفه المختلفة على هيئة دروس تهذيبية لأبناء وطنه وتدخل فى عداد التربية الاقتصادية.

ففى مقال (مطلب الطعام) [164] يصنف النديم المصريين – قبل عشرين سنة من تاريخ المقال – إلى ثلاث فئات، فقراء وأغنياء وأمراء، وبعد أن يميز بين طعام وآنية كل قسم يرى أن "بهذا الاقتصاد العظيم كانت الثروة عظيمة كل بحسب حاله، مع قلة النقود إذ ذاك وعدم اتساع التجارة والزراعة...، فلما حصل الاختلاط وامتدت التجارة واتسع نطاق الزراعة، وساكن الأجنبى الوطنى، قبح الغربى اقتصاد الشرقى وعده بقاءً على الهمجية والتوحش، وحسن له التوسع فى المآكل والمشارب وآنيتها ليماثل الأمم المتمدنة فى العالم، وما قصد بذلك إلا تحويل ما بيده من النقود إلى بلاده، واتخاذه أجيراً يشتغل ويكد الليل والنهار حى إذا طاب زرعه وامتلأت يده بالنقود جاءه الأجنبى بمحسناته فأخذ ما بيده وتركه فى أسوأ مما كان عليه، فهجم الوطنى والفقير والغنى والأمير على المحسنات الغربية يشتريها بنفيس الذهب، وتعلم التفنن فى المطاعم والمشارب" [165]، "وقد

توسعوا فى المآكل إلى حد لا يطيقون البقاء عليه لعدم كفاية الواردات المالية لهذا الإسراف العظيم، وقد أماتوا بهذا الاقتصاد الشرقى، فماتت معه ثروة المنتجين الوطنيين وحيى من فى الغرب"، "ولما لم تكفهم وارداتهم لاستحضار الآلات والمطاعم والمشارب الجديدة اقترضوا ورهنوا الأملاك والأطيان، وكانت الغاية سكنى الغريب فيما بنوه وانتفاعه بما ملكوه"، ومع تسليم النديم بأن "المحسنات المعايشة تألفها النفوس، فإن الإسراف فيها والتهالك عليها غير محمود" [166]، ويختتم النديم مقاله مقدماً درسه الاقتصادى لأبناء وطنه، فيخاطبهم ناصحاً وموعياً "إننا لو أخذنا من محسنات الغرب ما لابد منه، واقتصرنا على ما يوافق أخلاقنا وعاداتنا لحفظنا لأنفسنا حق الانتفاع بثمرة الاقتصاد الشرقى، ولكن طرنا حول الأهواء، وجرينا خلف المرئيات المزخرفة الظاهر وتتبعنا سير الغربى فجاريناه حتى سبقناه، وأصبحنا نعض الأنامل من الغيظ أسفاً وندماً، وهيهات إن نفع الندم مع التمادى على هذا التهالك فى السرف..." [167].

ويبدو أن النديم كان مستشعراً أهمية وخطورة قضية الإنتاج والاستهلاك وأثرهما على قضية الاستقلال والحرية، حيث نجده فى نفس العدد الذى كتب فيه المقال السابق يقدم نفس الدرس الاقتصادى تقريباً، ولكنه هذه المرة يقدمه باللهجة العامية فى صورة محاورة بين (المعلم حنفى والنديم) [168]، وكأنه يخاطب بهذه المحاورة العامة من أبناء الشعب إدراكاً منه بأهمية دورهم فى الحياة الاقتصادية وفى التوجه نحو الاستهلاك، وبأنهم شركاء مسئولية فى هذا الوطن، وفى هذه المحاورة يستعرض النديم حال أحد صناع المنتجات الوطنية الذى يأسى على كساد صنعته بسبب هجر أبناء وطنه لشراءها حيث يقول "لقينا الفوط من بلاد بره معمولة من القطن القطاع والكهنة اللى بياخدوها من عندنا، يحلوها تانى ويعملوها قماش أشكال وألوان ويضحكوا علينا بيها. لما شافوها الجماعة بتوعنا سابونا قاعدين ننش وراحوا للخواجات وصاروا ياخدوا اللى بنبيعه إحنا بعشرة قروش بعشرة فرنك، وأحب على قلوبهم من العسل، تقول يا أخى حدش يفتكر الكلام ده ويقول ضيعنا فلوسنا للغريب وموتنا صنعة بلادنا وخلينا الصنايعية دايرين صايعين..."، "هما أولاء البلد عمى لما رايحين يفوتوا الحاجة المضمونة المتقونة ويروحوا ياخدوا البلاوى دى، وحد يحط فلوسه فى الهلاهيل والحاجة اللى ما تنفعش" [169]، وترتب على ذلك – كما يورد النديم فى المحاورة – أن ترك أرباب الحرف والصناعات والتجار أعمالهم، وهاجر منهم إلى الخارج كل من توفر لديه مبلغ ضئيل من المال، "تقولش إلا احنا فعله للخواجات، بنشتغل عندهم باللقمة، ادحنا بقينا زى دودة الحرير تموت نفسها فى عمله وغيرها يلبسه"، "والعبارة بقت على الحديدة، مبقاش عندنا صنايعية أبداً، داش يغم" [170]، ولا يترك النديم القضية دون أن يضع تصوراً لمواجهتها، وذلك من خلال

الادخار وتوجيهه نحو الصناعة الوطنية، فيقترح فى المحاورة "إننا نوفر القرشين اللى معانا ونشتغل بهم تجارة فى صناعة فى زراعة زى الأوروبيين علشان نصبح أغنياء شوية وتفضل البلد ماسكة حيلها شوية بالناس اللى فيها" [171] .

وحتى لا تكون الصورة موحية بالقتامة، وحتى لا يفت النديم فى عضد نفسه ويشعر أن دروسه ونداءاته ذهبت أدراج الرياح، يعود فيبعث الأمل من جديد فى نفسه وفى نفوس قراءه من الوطنيين، ويكتب مقالاً مشبعاً بلهجة الأمل والتفاؤل بعنوان (بضاعتنا ردت إلينا) [172] ، يشير فيه إلى استجابة بعض من نبهاء الأمة إلى دعوته لشراء المنتج الوطنى، فيقول مخاطباً نفسه "لقد جرت الحياة الوطنية فى قراء عبارتك وناظرى إشارتك، فلم تك بدعا فى هذا الدعاء ولا مخطئاً فى تعميم النداء، فها هو دولتلو مصطفى باشا رياض يجتهد فى فرش سرايته العامرة بفرش نسجت أقمشتها فى البلاد المصرية، وهو ما يشهد له بصدق الوطنية، وتقدمه أمام المصريين إمامًا يقتدى به فى هذا السعى الجميل"، ثم يسرد النديم أسماء بعض سراة القوم وأثريائه الذين استجابوا لدعوته، مطالباً الأغنياء والأمراء بالاقتداء "بهؤلاء الوطنيين فى تزيين بيوتهم بمصنوع البلاد" لأنهم إن فعلوا ذلك "لأحيوا ألوفا من الصناع وفتحوا بيوتا أقفلها موت صناعة أهلها بترويج صناعة الغير" [173] .

ويتابع النديم حملته الصحفية تلك على صفحات عدد آخر من مجلة الأستاذ يحمل عنوان "مصنوع البلاد" ينوه فى مقدمته إلى أنه برغم وجود صناع وطنيين يصنعون الأقمشة اللطيفة المحتاج إليها لبساً وأثاثاً مع اتقان الصنع وجودة القماش فى المحلة الكبرى، "فإن الناس مغرمون بمصنوع الأجنبى الذى لا يساوى شيئاً فى جانب مصنوع البلاد، وقد تنبه الأمراء لمصنوع البلاد إحياءً لصفة البلاد وأهلها" [174] ولا يفوت النديم شكر هؤلاء الأمراء راجياً اقتداء الناس بهم فى التمتع بمصنوع البلاد، حاثاً عمال البلاد المصرية ذات الأعمال النسجية أن يجتهدوا فى تنميق الألوان والتفنن فى النقوش المبهجة وتوسيع دائرة المصنوعات أملاً فى انتشارها ورجوع الناس إليها" [175] .

وتصل حملة النديم الصحفية ذروتها لتشجيع المنتجين المصريين وحث الوطنيين على التعامل معهم، حتى لو كان هذا المنتج أو الصانع فرداً مثل (حسبو أفندى محمد) الذى اجتهد فى فتح ورشة لإصلاح (الوابورات) والآلات بالاسكندرية، والذى انتشر خبر براعته حتى وصل إلى أعتاب (الحضرة الخديوية العباسية) فكلفه بصناعة بعض المعدات للقصور الخديوية، وتركيب (قزانات) وابور المحروسة، وهى مهام كانت تسند إلى خبرات أجنبية، ولذا حرص النديم على الثناء على "الحضرة الخديوية لعنايتها بأبناء البلاد ومساعدتهم على تقدمهم "مناشداً الوطنيين" أن يقلدوا مولاهم الأفخم فى مساعدة أخيهم على اتساع نطاق ورشته تكثيرًا للفوائد الوطنية" [176] .

8-دروس مواجهة الجهل والبدع والخرافات:

نتيجة لانتشار الجهل فى عصر النديم شاعت الخرافات بين المصريين الذين صدقوها وشاع بينهم اللجوء إلى البدع وبعض مدعى خوارق الأعمال لحل العديد من مشكلاتهم الأسرية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، ولم يكن ليفوت النديم رصد هذه الظاهرة وسعيه إلى تشخيصها وتقديم تصور لمواجهتها من خلال مقالاته التى أخذت شكل دروس تهذيبية فى مجلة الأستاذ.

وفى واحدة من مجابهاته لظاهرة الاعتقاد بالخرافات، يتصدى النديم بالرد على رسالة لأحد القراء الذى يطلب "الفتيا من الأستاذ عما كثرت به الأراجيف....."، وقد حفلت الرسالة بكثير من الخرافات المتداولة آن ذاك بين الناس، ولما كانت هذه الأشياء – يقول كاتب الرسالة – "قد قرت الأسماع، والكل خيم عليه سحاب الجهل عن أصلها وسبب اختراعها... منتظراً شمس الحقيقة من خلال جواب الأستاذ كما عود أولى الألباب من طرد الأوهام بالحقائق... "ويقوم النديم من خلال رده على ما ورد بالرسالة بتفنيد هذه الأراجيف محاولاً ردها إلى أصولها الأولى، مؤكداً على أن هذا "كلام باطل لا أصل له ولا حقيقة، ولا يغرك شيوعه وتواتره بين العامة، فإنه محض اختلاق، وا تعالى يهدينا السبيل المستقيم ويحفظ أفكاركم من تصديق هذه الأباطيل" (177) .

ورأى النديم – أيضاً – أن احتفالات الطوائف الدينية بالموالد تزخر بالعديد من البدع التى تنطلى على البسطاء والهبلاء وتؤثر فيهم أيما تأثير، فوجه وجهته نحوها وخط مقاله (الطرق وما فيها من البدع" (178) .

وبعد أن استعرض بعض ما يأتى به الناس من سلوكيات فى الموالد، أخذ النديم يتساءل "هلا اتخذ الناس طريقة للموالد والمجالس غير هذه الطريقة الشنيعة، وهلا رجع هؤلاء الجهلة عن بدعهم والتزموا طرق أشياخهم الذين يدعون أنهم على آثارهم....، أما آن لهذه البدع أن تموت ولهؤلاء الجهلة أن يتنبهوا ويعلموا أنهم بين أمم ينظرون أعمالهم وينتقدون أحوالهم ويكتبون عنهم ما يكتب عن الهمج وسكان البوادى"، وبعد أن يعرض الأصول الشرعية للاحتفال بالمناسبات الدينية يقول "أين هذه الأصول الشريفة مما نراه الآن من الخروج عن الحدود واستبدال السنة بالبدعة وترك الشرع بهوى فى النفس....، فقد كثرت النحل والبدع وسمعنا ما ليس من ديننا...، ولا ندرى بأية يد ندفع أعداء هذا الدين إذا كان فى داخليته مثل هؤلاء" (179)، ويحذر النديم هذه الفئة المبطلة –التى التزمت البدع وعلموها لجهلة لا يفقهون فضلوا وأضلوا –بأنه سيكتب كتاباً فى هذا الباب يبين فيه "الطرق وأصولها وواضعيها، ثم يبين أشياخ عصره ونحلهم ودعاويهم وما يصيدون به العامة من الخيالات والأوهام" (180).

ووفاءً لوعده السابق بالحديث عن الطرق وفوائدها وما حدث فيها من البدع التى ليست من الدين قام النديم فى العدد التالى مباشرة من مجلة الأستاذ بكتابة مقال اتخذ له عنوان (الطرق وإصلاحها)، يسلم فى بدايته بأن الطرق الدينية فى الأمة "أكبر داع لاجتماع العصبية وتأليف القلوب وتوحيد الكلمة" (181)، إلا أن بعض الطرق أغلق منهاجها جماعة اضطرب عليهم الحال وما بلغوا مقام التمكن فتجاوزوا بالشطح والدعوى الحدود فتبعهم فريقان، أحدهما انقاد بحسن الظن، وفريق قاده الجهل، "وأن كل طريقة خالفت الشرع زندقة"، ثم أخذ يعرض أقوال بعض العلماء والفقهاء فى هذا الخصوص، منتهياً إلى استعداد "الأستاذ لنشر ما يلزم نشره ردعاً للضالين والمبتدعين وإعلاناً للأجانب وغيرهم أن ذلك ليس من ديننا، وإنما هى كلمات صادرة من قوم لا خلاق لهم فى الدين... فيكفى الدين ما يلاقيه من الحروب المعنوية الخارجية، فإذا حاربه هؤلاء من الداخل كانوا يداً ثانية للأجنبى فى تمزيق ثوب الاجتماع الاسلامى وشق عصا الجماعة وإيقاع النفرة والعداوة بين المسلمين" (182) .

ويحمل النديم أيضاً على بعض البدع فى الدين، مثل "الحضرات التى كانت تعقد بالمساجد والتى استجدت على حياة المصريين" والتى يحدث فيها كثير من الرذائل، وتحدث تأثيراً كبيراً فى نفوس البسطاء، فيقول فى محاورة بالعامية على لسان إحدى المتحاورات "اشمعنا يعنى الحضرات اللى طلعوها اليوم، لا النبى قال كدة ولا عمل حضرة فى مدته ولا الصحابة ولا الناس الطيبين"، ويسرد النديم فى المحاورة ما يحدث من المشاركين فى هذه الحضرات ويتنافى مع قواعد الدين الحنيف، فيقول على لسان إحدى المتحاورات "فى الجامع تلاقى الجماعة اللى بيفقروا عمالين يتعوجوا ويشخلعوا تقوليش إلا هما غوازى...."، ويصل النديم فى نهاية محاورته إلى رأى الدين فيما يحدث بالحضرة على لسان أحد رجاله "دول ناس خسره ولا لهم ذمة... دول جماعة عاملين العبارة دى حجة وحاجة علشان الناس تتفرج عليهم، وبيذكروا على أدوار المغنى، ودى كلها أمور حرام شرعاً واللى يعتقد منهم إن دا حلال يكفر...، الذكر له ناس بالعنية يقعدوا فى المساجد يذكروا ا تعالى بقلب خالص ولا يرقصوا ولا يشخلعوا ولا يقفوا يتنطوا زى القرود... ولا يعملوا حاجة من الهذيان ده" (183) .

9- دروس التوعية بمضار الادمان وتعاطى المخدرات والمسكرات:

نتيجة لتزايد أعداد الأجانب فى مصر انتشرت (البير والخمارات)، واتجهت فئات عديدة من الوطنيين إلى تقليد ومحاكاة الأجانب، فكثر المترددون منهم على هذه الأماكن، وقد شغلت هذه

الظاهرة حيزاً كبيراً من اهتمامات النديم الصحفية فأولاها عناية فائقة وشغلت مساحات كبيرة من مجلة الأستاذ بدءاً من العدد الأول، حيث أفصح عن نيته فى التعامل معها، بعد أن فوجئ هو نفسه بانتشارها بعد عودته من الاختفاء طيلة عشر سنوات، ففى أولى محاوراته باللهجة العامية فى مجلة الأستاذ وتحت عنوان (تحية لبلدى) يطلب النديم من محاوره أن يمهله بعض الوقت حتى يتدارس أبعاد المشكلة ويعلن عن منهجه وأسلوبه فى مواجهة أطرافها فيقول "أنا لسا جاى من الغربة، وبدى أشم نفسى شويه، واسأل عن أحوال الجدعان دول واجتماعاتهم فى الحانات والبير والبيوت التلفانة، وكيفية كلامهم الموضة وأكلهم وشربهم ولبسهم وأكتب لك فى المعنى دا كتابة تؤدب العنتيل فيهم وتخلى اللى ما يشترى يتفرج، وأخلى الواحد منهم يدارى لما يعرف أن النديم رايح ينبه أفكار الأمراء والفضلاء على عيوب الأولاد اللى لا نفعوا طار ولا طبلة، وأخلى الحكومة تقول عفارم يا واد يا نديم يللى فتحت مدرسة تهذيب بجريدتك وجعلتها أجعص من البوليس السرى فى معرفة أخبار السكارى والحشاشين والصرامحة اللى ضحكوا علينا الناس، احنا بطلنا نضرب بالكرباج وانت جيت تضرب بالكلام المؤلم اللى يتعتع الحجر" (184) .

ولا ينتظر النديم طويلاً، حيث نراه يرفع عصا التهذيب والتأديب فى مواجهة هذه الفئة فى العدد التالى مباشرة من خلال محاورة أخرى بالعامية تحمل عنوان (فكاهات) يفصح فيها عن مقصده من الكتابة فى هذا الموضوع، "أنا قاصد النصيحة موش الرذالة، فإن الخمور متناسبش بلادنا لكونها تتسلط على العقل وتتلف الرئة والكبد وجميع الأحشاء، واللى يسمع إن فى بلاد أوربا يوضع بسببها فى المورستان كل سنة أكثر من أربعة آلاف مجنون يقول تغور الخمرة واللى يدوقها... وكمان مسألة الفلوس فإن السكرى يروح علشان ياخد كاس يقوم ياخذ عشرة....، واهو دا اللى خلا قلبى ياكلنى على أهل بلدى واخوفهم بكلام الأستاذ" (185) .

وما أن يتشم النديم رفض هذه الفئة للنصيحة، وتصله الاستجابة السلبية منها عما أفصح عنه فى العدد الأول فى شأن مواجهة هذه المشكلة، نجده يعلن تغيير أسلوبه فى معالجتها "لأن شرب الخمرة بقى عادة مستحكمة، فأنا رايح أجعل كلامى فى تهذيب الأخلاق بطريقة ثانية، وا يكفينا شر الخمرة واللى يشربها"، ثم يردف النديم "بقى إذا كان الواحد شايف ضرر إخوانه موش يقول لهم على اللى ينفع واللى يضر"، وفى نهاية المقال يعبر النديم عن ثقته فى أهل بلده وأنهم "قابلين للكمال... بس وريهم السكة العدلة وشوف يعملوا إيه، تلاقييهم مشيوا فى الكمال" (186) .

وفى العدد السادس من مجلة الأستاذ يواصل النديم حملته فى مواجهة ظاهرة الإدمان والسكر فى صورة محاورة أخرى طويلة بالعامية ولكن هذه المرة بين امرأتين تبثان بعضهما همومهما بشأن

إدمان زوجيهما، حيث يستهل المحاورة بإعراب إحدى المرأتين عن خشيتها أن تقع ابنتها "فى واحد زى المدهول أبوها يبهدلها ويفوتها ويدور طول الليل من الخمارة دى للمحششة دى، ويسيبها لا تلاقى لقمة تاكلها ولا هدمة تلبسها"، ثم تتبين المرأة أن جارتها التى تبثها شجونها تئن هى الأخرى من وطأة إدمان زوجها، وبعد أن يعدد النديم الأخطار التى يمكن أن تنشأ عن إدمان الأزواج ومنها تعرض أسرهم للتفكك والانحراف، يردف على لسان إحدى المتحاورات "كل أولاد اليوم كده، وأهو ده اللى علم نسوانهم الفلت" [187]، ولا يحول بينهم وبين ذلك إلا الخوف من ا وتربيتهم من الصغر على فضيلتى العفاف والصبر [188] .

ولا يفوت النديم أن يسجل على لسان إحدى الامرأتين عن بدء ذيوع حملته وانتشارها وتجاوب الكثيرين معها، حيث تقول "إفرحى ياختى، طلع جرنال اسمه الأستاذ، نازل على الجدعان التلفانين اللى زى لفندى بتاعنا وبتاعكم... اسكتى خليه ينشف ريئهم..." [189] .

وفى العدد التالى مباشرة ينشر النديم محاورة جديدة- ذات دلالات هامة – لأنها أيضاً بالعامية وبين امرأتين إحداهما من المحاورة السابقة والأخرى مسيحية، وتحمل عنوان (لطيفة ودميانة)، وفى المحاورة تتحدث كلتاهما عن مشكلة إدمان زوجها وتتطرقان فى الحديث لزوج جارة أخرى يهودية (رفأة)، وعما آلت إليه أحوالهم المالية من تدهور، وفى المحاورة تسأل الجارة المسلمة جارتها المسيحية "إحنا عندنا يا مسلمين العرقى ده حرام شربه، وانتوا يا نصارى عندكم حلال ولا حرام"، فترد الجارة المسيحية "عندنا يؤولو اللى يشرب الخمر ما يدخل ملكوت ا ....، واليهود عندهم ما يشربوش إلا القليل فى العيد"، وعندما تسأل المرأة ثانية عن الحال بالنسبة للنصارى الأوربيين، ترد دميانة "وهيا الداهيا جات لنا منين" [190] .

ومن تركيز النديم فى محاوراته بشأن هذه الظاهرة على النساء، يتضح أنه كانت لديه قناعة بأهمية دور المرأة فى مواجهتها، ومن ثم وضع تصورًا للدور المنوط بالمرأة فى هذه المواجهة من خلال تجميع وتكتيل جهود المرأة فى صورة ما يمكن أن نطلق عليه جمعية أو جبهة نسائية، حيث تعـلن النسـوة أن مقصدهن من تجمعهن "حفظ شرف الرجالة وأموالهم، ونحوشهم عن الأمور البطالة" [191] .

وعندما تجتمع هذه الجبهة أو الجمعية النسائية يرجع النديم – على لسان إحدى المتحاورات – انتشار الخمور فى مصر إلى "الإفرنج اللى بيبيعوا المشروبات.... هما عايزين كل رجالتنا يبئوا كدة لاجل يكسبوا منهم، ويئولوا ما فيش فى الشرق ناس عقلا يعرفوا قيمة بلادهم، وعلشان كدة تلاؤا الأفرنج حاطين بالهم منا أوى" [192]، ويؤكد النديم على نفس المعنى فى مقام آخر ومحاورة اخرى،

حيث يقول على لسان إحدى المتحاورات "هما مش سامعين اللى بيقولوا ما فيش فى مصر رجال، لما يشوفوهم صفوف فى البير والخمارات" [193]. وتجمع النساء على أهمية دور المرأة فى مواجهة المشكلة، حيث يقول النديم على لسان إحداهن "الستات عليهم رك كبير فى حفظ الرجالة من الأمور البطالة"، ولكنهن يدركن أهمية مواجهة المشكلة متحدات وليس فرادى "الست منا يمكنها تتوب جوزها ولكن لازم تكون اختها معاها فى كدة علشان رخره تتوب جوزها ولا ينزل يلاقى صاحبه يئوم يتلفه ويلخبط عآله" [194] .

ويواصل التجمع المذكور اجتماعاته – على صفحات مجلة الأستاذ – وهو ما يسفر عن (عقد اتفاق) وهو عنوان مقال جديد فى حملة النديم على مشكلة الإدمان، يستعرض فيه باللهجة العامية أحوال زوجات مدمنى الخمر والمخدرات، اللاتى يتفقن على تفويض النديم بأن يعرض على الأزواج السكارى – من خلال مجلة الأستاذ – حال نسائهم "ويكون من باب الرجاء والالتماس فإن نفع ورجعوا عما هم فيه، يا دار ما دخلك شر، وإن استمروا فى خسرانهم نكتب عرض حال للحكومة، وتبقى تعرف شغلها فيمن ياخد فلوسها ويصرفها فى ضياع عقله وشرفه" [195] .

واستجابة لهذا النداء يقوم النديم فى نفس السياق بتوجيه درسه التهذيبى الجديد للأزواج السكارى تحت عنوان (عرض حال نساء السكارى لأزواجهن)، والذى يستهله بتذكير الزوجات لأزواجهن بأنهم أخذوا زوجاتهم بكتاب الله تعالى، ومن ثم فإنهن يسألن "مقام رجولتكم أن تتفضلوا عليهن ببعض الذى تنفقونه فى الملاهى ومذهبات العقل والشرف ليسددن به رمق العيال ويحفظن لأنفسهن حق التمتع بلوازم الزوجية، كما يلتمسن أن تصرفوا بعض أوقات فراغكم من الأعمال بين أولادكم تلاعبونهم وتهذبونهم..."، ويعايرهم النديم فى درسه بأن "الإفرنج الذين قلدتموهم فى شرب المسكرات والقعود فى البير لا يأكل الرجل منهم لقمة إلا مع زوجته وأولاده، وقد رتب أوقاته وحددها لزوجته... فإنه لا يخطو خطوة إلا أعلمها بها، مع أنهم لا يشربون من الخمر إلا ما يمرون به الطعام..." [196] .

وبعد أن يسهب النديم فى عرض ما آل إليه حال زوجات السكارى وأبنائهم، يقول لأزواجهن على لسانهن "أجيبوا ملتمسنا منكم، فقد رفعنا هذه العريضة إليكم مشهدين عليكم أهل بلادنا وجموع العقلاء راجين من الله تعالى أن يلهمكم الصواب فى أمرنا ويردكم عن طريق الغواية إلى سبيل الهداية..." [197].

ويجنى النديم بشائر ثمار حملته، حيث تترى الأخبار من العديد من المدن "بأن كثيراً من الناس انتصح بنصح (الأستاذ) ورجع عن شرب المسكرات رأساً، وبعضهم اتخذ له حداً حتى يرجع عنها

شيئاً فشيئاً.... وكأنهم كانوا لا يشعرون بقبح ما هم عليه حتى نبههم الأستاذ، وعلموا أنه مخاص فى نصحه محب لتحلى أبناء وطنه بحلية الفضل والكمال"، ومن ثم يرى النديم أنه لا يتفق مع من يعتبر "النصيحة على لسان الستات فضيحة" بل "إن الموعظة على لسانهن أشد تأثيراً" [198] .

ويرصد النديم فى كتاباته التالية ردود أفعال القراء إزاء حملته الضارية على السكارى والمدمنين والتى كانت بمثابة رجع الصدى لنجاح حملته، حيث تواتر إلى مسامعه أن (مجلس الستات) السابق الإشارة إليه انعقد ثانية تحت رئاسة فاضلة حكيمة، وقد انضم إليهن من لم يكن معهن قبل ذلك، ثم استعرضن أعداد مجلة الأستاذ من الأول إلى العاشر – وهى الأعداد التى تضمنت حملته على السكارى والمدمنين – وانتهين إلى "شكر الأستاذ على وعظه ونصحه لتوبة رجالهن على يديه، وإن كان قسم منهن لازلن يعانين من سوء تصرف أزواجهن وسفههم "وانتهى الرأى بينهن إلى "أن يقمن بتكدير عيشة الرجال من الداخل، بينما يعمل الأستاذ على ان يعظهم ويسفه أحلامهم من الخارج حتى يتوبوا...." [199]، وإذا كان العرض حال السابق على لسان الزوجات لم يؤت ثماره لدى البعض، فقد طلبت النساء من النديم أن يكتب لهن عرض حال جديدًا "عن لسان الأولاد إياك يحن قلب أبوهم عليهم، وإن ما نفعش تكتب على لسان الجيران... وبعدين عن لسان السماء، وبعدين عن لسان الملايكة...." [200]، ولا يفوت النسوة فى هذا المقام أن يمتدحن صبر الأستاذ على كلام السكارى وسبابهم، وتقديرهن لدوره"... ولولا ربنا رزق النسوان بالأستاذ، وداير يدور لهم على مصلحة رجـالـهم ويوريهم طريق التوبة إلا كان الحال يزيد يوم فى يوم لما تبقى الخمارات بدل البيوت...." [201] .

وتتفاعل جموع القراء مع كتابات النديم فى هذا الشأن وتتعاقب ردود أفعالهم ومراسلاتهم، فيكتب أحد القراء من طنطا، أنه فى أحد مجالس الرجال "ذكر الأستاذ، فأثنى كل منا على قدر طاقته من حيث أنه هدى الناس وعطل الكاس" [202]، ويقول آخر إن النديم لما حرر جريدة الأستاذ "أثرت فيهم المواعظ فاتخذوا التوبة أمراً جديداً وخافوا تواتر الزواجر لأنهم لم يكونوا من العصاة الفواجر"، ويعقب النديم على هذا بأنه يرجو "أن يكون كلام الأستاذ علاجاً فعالاً فيهم، يؤثر وقتا بعد وقت حتى يذهب الداء جملة" [203]. وفى نفس السياق يتلقى النديم رسالة من أحد القراء بالأسكندرية يخطره فيها أن "الذين تاب أكثرهم توبة ضمنت لهم السعادة والنجاح، عكفوا على إحياء أندية الآداب مستبشرين بالفلاح"، ومن ثم يطالبه القارىء بالاستمرار "زدنا موعظة يا خطيبنا، وارسم لنا طرق الهدى والتقدم والسداد، حتى تهذب بحكمتك وتستميل برقة ألفاظك وعفتك شبانا قدروا نصائحك الخالصة.... وأيقنوا أنك صاحب الإرشاد، إذ أن أحوال المتفرنجين من بنى المودة والخلاعة تحسنت هنا تحسناً عظيماً،

وثبت لهم ثبوتاً لا يحتاج لتزكية أنك غيور على أبناء وطنك، الذين وقعوا فى شرك الملاهى والشهوات البهيمية" [204] .

10- قضية نشر التعليم واقتراح طرائق جديدة له والحث على إنشاء المدارس:

شغلت قضية نشر التعليم مساحة كبيرة من اهتمامات النديم، وظهر ذلك بجلاء فى العديد من كتاباته وإصداراته، وتبدو قيمة وأهمية ما صدر عن النديم من كتابات عن التعليم والتربية من كونه خبر ميدان التعليم فكراً وعملاً، حيث امتهن التدريس وأدار بعض مؤسسات التعليم فى بعض فترات حياته، وقد مكنه ذلك من تجريب بعض طرائق التربية والتعليم فى المدارس التى عمل بها أو تولى إدارتها، وهو ما أضفى على كتاباته ومقترحاته لتطوير التعليم وطرائقه قيمة كبيرة، وأثرى كتاباته الصحفية فيما بعد عن التربية والتعليم والمحور الحالى من محاور الدراسة يمكن تناوله وفقاً للتصنيف التالى:

أ- قضية نشر التعليم

ب- الحث على إنشاء المدارس ودور القطاع الأهلى فى ذلك

ج- محتوى التعليم واقتراح نظم وطرائق جديدة له

أ- أهمية التعليم ونشره:

آمن النديم إيماناً مطلقاً بقابلية أبناء وطنه للتعلم وحقهم فيه، ففى ختام واحدة من محاوراته يقول لمحاوره "وحياتك أهل بلادنا كلهم ذوق وقابلين للكمال.... بس وريهم السكة العدلة وشوف يعملوا إيه" [205]، وقبل هذا بأكثر من عشر سنوات يكتب فى التنكيت والتبكيت مظهراً أهمية التعليم "إن الجهل استبعدنا وطردنا عن التقدم وأبعدنا، وأكثر فينا الآمال وأوقعنا فى سوء الأعمال فعدنا أضحوكه بين الأنام ولعبة بيد الطغام" [206]، وأن "سعادة كل أمة موقوفة على تربيتها وانتشار العلوم فيها، فإن الجهل يسوق أهله إلى الدمار والخراب وتواصل الفتن والحروب الداخلية والخارجية مع حيلولته بين أهله وبين ما يوصلهم إلى الظفر وبلوغ المقاصد بسبب فقد المعدات والآلات التى حرمهم منها......، وللجهل تاريخ فى كل أمة ومملكة يحفظه العقلاء ويعملون مقدار ما جلبه من المصائب وما ترتب عليه من الخسائر" [207] .

ب-الحث على إنشاء المدارس ودور القطاع الأهلى فى ذلك:

أدرك النديم مبكراً أهمية نشر التعليم والتوسع فى إنشاء المدارس، واستشعر قصور موارد الدولة فى تحقيق هذا الهدف أو قلة الإرادة فى تحقيقه، فكتب فى مجلة التنكيت والتبكيت مقالا بعنوان (آفة السكوت) ينعى فيه على الأمة قلة اكتراثها بهذا الهدف "ما بالنا لا نتعاون على تشييد المدارس فى بلاد أوقعها الجهل فى مواقع الخسران، مع العلم بأن المدارس هى الأصل الذى ينبنى عليه نجاح المقاصد، إذ أنها هى الواسطة العظمى فى اكتساب الفضائل التى أقل ما فيها حسن تربية الأبناء التى نحن فى حاجة إليها...." [208] .

ويأخذ النديم على الأغنياء وذوى الأملاك العظيمة تقصيرهم فى "إنشاء المدارس الوطنية الأهلية لتربية أبنائهم وأبناء الفقراء على نفقتهم ودينهم وعاداتهم ولغتهم ومألوفاتهم"، ويحمل النديم على عاتقه مهمة "قرع أسماعهم بما ينبه هذه الهمم الخامدة ويحرك الطباع الساكنة ليتعاضد الناس على فتح الجمعيات الخيرية لتربية أبناء الأمة...، فإن أية حكومة فى الأرض يعز بل يستحيل عليها تربية جميع أبنائها، وإنما الأغنياء والجمعيات فى كل دولة هى القائمة بهذه الخدمة" [209]، وفى مقام آخر يحدد النديم سبل تحقيق ذلك فيقول "ماذا على أغنياء الشرق لو عقدوا الجمعيات الخيرية تحت حماية دولتهم وفتحوا بها المدارس الوطنية تقليداً لأوروبا، وساعدتهم الحكومة بحفظ مشروعهم من السقوط وتسهيل طرق تعميم التعليم وتسويغ نطاق الجمعيات بإعداد محافل الخطابة العلنية العلمية ونشر المطبوعات الأهلية ومكافأة النابغين ومساعدتهم على جنى ثمرة أتعابهم باستخدام أو تسهيل طريق معيشة أو إعانة على صناعة، وحفظ الامتيازات للمؤلفين والمخترعين لتنمو الأفكار وتكثر المبتكرات" [210] .

ويحتفى النديم على صفحات مجلة الأستاذ بباكورة هذه الأعمال الوطنية المتمثلة فى إنشاء المدارس، وهى مدرسة النيل الخيرية التى أسستها جمعية النيل الخيرية وهى مدرسة كما يقول النديم "إسلامية محضة، تعلم علوم الدين وتاريخ العرب والمسلمين، والعلوم الرياضية ولغتين أجنبيتين" وينتهز النديم هذه المناسبة ليدعو جموع المسلمين لفتح مدرسة فى كل مركز وبندر على نفقتهم لأن "انتظارهم تربية أبنائهم على نفقة المعارف يرجع بهم إلى الجهالة العمياء، خصوصاً ما يختص بالدين واللغة"، ويرى النديم فى هذا الافتتاح أن "الأمة تنبهت وعقدت عزمها على تكثير المدارس"، ويتوقع تتابع الافتتاح واحدة بعد أخرى حتى توجد المدارس الكافية لأبناء الوطن، بل إنه يتعجل هذه الخطوة ويناشد "بقية المحافل المصرية التى تزيد عن عشرين وعندها أكثر من خمسمائة جنيه زائدة عن

حاجتها أن تجارى هذا المحفل فى فتح مدارس وطنية إظهاراً لخدمة الوطن وسعياً لصالحه وبثاً للعلوم فى أبنائه" (211) .

ولم يكن احتفاء النديم بالمدارس الأهلية فحسب، بل إنه احتفى كذلك بنوع آخر من المدارس يحجم عادة القطاع الأهلى حتى وقتنا هذا عن إنشائها، وهى مدارس التعليم الزراعى، حيث تصدت الحكومة لإنشاء أول مدرسة زراعية فى مصر، والتى رأى النديم فيها "إحياء لهذا الفن وخدمة الأرض بما يزيدها جودة واستعدادًا، فينمو الحاصل فيها وتكثر الفوائد الزراعية"، وبعد أن يستعرض النديم برنامج المدرسة ومقرراتها يأخذ عليها تدريس كل مقرراتها – عدا الرياضة- باللغة الانجليزية، ويعبر عن أن الأمل كان أن تقرأ علوم المدرسة بالعربية التى هى لغة الفلاح، وذلك ليقف التلـميذ عـلى حقـ ـائـق الأشياء بلغته فيسمى الشىء باسمه الذى يعرفه الفلاح ويبين له حقيقته بما يفهمه (212) .

ج-محتوى التعليم واقتراح نظم وطرائق جديدة له:

لم يركن النديم إلى الكتابة عن التربية والتعليم من منطلق نظرى، فقد أضفت خبرته بميدان التربية والتعليم على كتاباته قيمة كبيرة، حيث عرك ميدان التعليم وامتهنه فى فترات متباينة من حياته، فقد أنشأ مدرسة بالأسكندرية فى أوائل عام 1880 لتعليم اللغة العربية بأسلوب عصرى جديد، وعن طرق التدريس المتبعة فيها يقول أحمد شفيق باشا "سررت بطريقته لأنها جذابة سهلة المأخذ على الأطفال، تعلمهم القواعد فى شكل محاورات مسلية لذيذة، وشكرته على عنايته بالناشئة وأثنيت على مجهوده وطريقته الجديدة" (213) ، بل إن الجمعية الخيرية الإسلامية التى تأسست عام 1878 وكان من أغراضها فتح المدارس لتعليم أبناء الشعب وتهذيب أخلاقهم اختارت النديم ليكون مديراً لهذه المدرسة (214)، فقام بتغيير النمط الجاف الذى كانت عليه المدارس الحكومية آن ذاك، وأضاف إلى تعليم مبادىء العلوم المواد التى تبنت فى النشء روح الوطنية والشعور القومى من تربية وأخلاق ودين وتاريخ، كما كان يقوم بتعليم الإنشاء العربى والأدب (215)، كما استحدث فى هذه المدرسة مادتى التمثيل والخطابة علماً وعملاً ، وعنى بتشجيع الطلاب وشحذ ملكاتهم وتحميسهم فى دراستهم بإثابتهم بالجوائز، وكان من نتيجة ذلك أن بلغت المدرسة شهرة بعيدة وكانت أول مدرسة لها برنامج علمى وطنى، وتربى فى الطلبة روح الاعتداد بالذات والثقة بالنفس وحب لغتهم القومية وإتقانها (216) .

وفى درس تهذيبى نشره النديم على هيئة محاورة بينه وبين تلميذ عام 1881، تضمنت إجابات النديم على بعض أسئلة التلميذ تصوره لمحتوى التعليم وطرقه، فيقرر سلفاً لمحاوره أن أوربا تقدمت بالبحث فى العلوم ونشرها فى سائر أطرافها، ومن هذه العلوم علوم الصناعة والفلاحة والملاحة والسياسة، ويندرج تحت كل علم منها عدة علوم أخرى، وأن مصر تحتاج إلى هذه العلوم كلها لأنه لا يتم العمران إلا بها، شريطة أن تلقن تلك العلوم فى المدارس على يد أساتذة غير متشيعين، ويحدد النديم جوانب تشيع الأستاذ فى تشيعه لذاته أو جنسه أو مذهبه أو وطنه، وأخذ النديم يعدد لمحاوره أضرار تشيع الأستاذ، ووضع حدوداً لهذا التشيع منصفاً لها إلى:

-حدة من جهة ذاته، وذلك بأن يملأ ذهن التلميذ بأخبار المؤلفين والمهذبين من المتقدمين والمعاصرين، ويشرح له فضل من مضى من علماء جنسه وما كانوا عليه من الاجتهاد والتقدم.

-حدة من جهة الجنسية، بأن يعرف التلميذ أصل نشأة جنسه ومقدار ما وصل إليه من العزة والقوة والثروة والأسباب التى تحل عروة الجنسية وتضعف قوتها، ويحذره من الاختلاف والتحاسد والتقاعد.....

-أما حدة من جهة المذهب فيكون بأن يغرس فى ذهن التلميذ أصوله قبل أن يشتغل بفكره بالعقليات لترسيخ قدمه فى طريق المذهب فلا تزحزحه العقليات عند الاشتغال بها.

-وحدة من جهة الوطنية بأن يصور معنى الوطنية فى صورة غذاء ينتفع به جميع الجسم بحيث لا يترك عرقاً من عروقه إلا وقد أجرى فيه ماء الوطن التى هى حفظ البلاد ولغتها وعاداتها الجميلة وتوسيع العمران بالصنائع والمعارف والأمن والثروة.... (217) .

والطريقة التى يراها النديم مناسبة لتهذيب أخلاق الطفل وتمرينه على محاسن الآداب هى الطريقة الاعتدالية، وفحواها "أن يكون الأستاذ متواضعاً لين العريكة سهل الأخلاق واسع العبارة فى فنه غير ماجن ولا محماق ولا فاحش ولا قاس ولا معجب بنفسه ولا كسول ولا عابس (218) .

وكان من رأى النديم أن طريقة التعليم "باستغراق أوقات التلميذ فى المدرسة مضرة من وجهين، الأول عدم تعميم فن القراءة والكتابة إلا فى أزمان طويلة – وحركة العالم الآن لا تمكننا من الصبر حتى نصل إليها – والثانى إذا كان التعليم قاصراً على اللغات فإن التلميذ يضيع فى كبره لعدم معرفته ما يتكسب به، ويستحيل علينا جعل الطب والهندسة صناعة لكل تلميذ، فلم يبق إلا طريقة المزج، وهى أن تجتمع الأمة بإرشاد الحكومة ومساعدتها على فتح مكاتب ابتدائية فى المدن والقرى على نفقة أهلها، وتلزم كل والد بإرسال ولده إلى المكتب يقيم فيه نصف النهار والنصف الثانى يشتغل بصنعة أبيه، وفى كل سنة تنظر الحكومة فى جداول الامتحان وتأخذ من المجموع ما تراه متأهلاً

للعلوم العالية، فتخف النفقة عليها ويعم التعليم، وتحفظ الصناعة، وتفتح أبواب الثروة، وتصبح البلاد مسكن أدباء ومأوى نبهاء، على أن يعلم فى هذه المكاتب فن القراءة والكتابة وتهذيب الأخلاق والحساب والجغرافيا وأصول الدين واللغة العربية ومقدمات الهندسة والتاريخ [219] .

ورغم إيمان النديم بأهمية العودة إلى الجذور فى التعليم إلا أن هذا لم يصرفه عن إثارة الاهتمام بالتجارب التربوية والتعليمية وطرق التعليم فى الأمم الأخرى وإمكانية الاستفادة منها بما يلائم ظروف المجتمع، حيث كتب فى هذا الخصوص يقول "لابد لنا معاشر الشرقيين من مجاراة الأمم المتمدنة للخروج من مضيق التوحش المنسوب إلينا، ولا نصل إلى هذا المقصد إلا بالوسائل التى اتخذتها أوروبا وكلها محصورة فى طرق التعليم، وهى أنهم خلطوا التعليم الدينى بالتعليم المدرسى وصيروهما طريقة واحدة....، ثم إنهم يدونون كتب التعليم بلغتهم المستعملة فى وطنهم، فلا نجد فرنساويا يتعلم بالانجليزى...، بل كل دولة تحافظ على لغتها بجعل التعليم بها، فنجد جميع الكتب العلمية موضوعة بلغاتهم، فاللغة هى العنوان الجامع للجنسية الحافظ به للتاريخ، الداعى لاجتماع الأفراد إذا تفرقت الأمم، فالمحافظة على اللغة محافظة على الجنسية....، ولا تعطى شهادة لتلميذ أدى الامتحان فى جميع العلوم بغير لغته مهما كان تمكنه من اللغة الأجنبية عن لغته....

ومن مبادئهم تعليم التاريخ المحلى والوطنى، فيعرف كل تلميذ أصول آبائه والمتقلبين فى وطنه وأدوار عمرانه وأسباب تقدمه وتأخره والعوارض التى طرأت....، ويذكرون له بعض قصص الثائرين وما تم لهم من العقاب، وبعض المعارضين وما انبنى على معارضتهم من الدمار فيخرج التلميذ قريباً من كل خير للوطن وأهله، بعيداً عن كل شر للوطن وأهله، ثم يضيفون لهذا كله تاريخ الأمم ومالهم من العلائق والروابط، ويضمون إلى ذلك مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات والإرشاد إلى الاقتصاد المالى والانتظام البيتى وتعليم ضروب التجارة وما يلزم لها، فإذا تمت له هذه المبادىء وانتقل منها إلى العلوم العالية خرج من المدارس قابلاً للكمالات مستعداً للإدارات مؤهلاً للسياسات.... [220] .

ولم يقتصر اهتمام النديم على اقتراح برامج ونظم التعليم العام بل تعداه إلى اقتراح برامج لما يمكن أن نطلق عليه (التعليم النوعى)، ومثاله فى كتابات النديم التعليمين الأزهرى والزراعى. فلم يكتف النديم بالاحتفاء على صفحات مجلة الأستاذ بإنشاء مدرسة زراعية على أرض مصر، بل إنه اقترح على المسئولين فى نظارة المعارف وقتها طريقة لزيادة معرفة التلامذة وتقدمهم وذلك بربط الدراسة النظرية بالدراسة العملية التطبيقية، عن طريق "تعيين اثنين من التلامذة لكل مديريتين أو أكثر ليطوفوا البلاد وينظروا الغيطان وما فيها من الاختلاف والتباين فى الزروع التربة، فإذا وجدوا

حوضاً تختلف زروعه ضعفاً وجودة أخذوا من طينته الجيدة والرديئة وبعثوا بها إلى المعمل الكيماوى لتحليلها ومعرفة العلل فى الضعيف والنظر فى دفعها حتى يكون فى حكم القوى، وكذلك إذا وجدوا زرعاً مصاباً بعاهة بحثوا فى موجبها ويبعثوا ببعضه إلى المدرسة للنظر فيه، فيمكنهم أن يدرسوا الأراضى المصرية علماً وعملاً...، وإلا فإن اشتغالهم بالعلم وحده أو بالتجارب وحدها لا يكفى فى إحاطتهم بهذا الفن" [221] .

وحظى الأزهر ونظام التعليم فيه بجانب من اهتمامات النديم الصحفية، ولم لا وقد كان فى فترة من فترات حياته طالب علم بالأزهر، الأمر الذى أضفى على مقترحاته لتطوير الأزهر وبرامج التعليم فيه قدراً كبيراً من الموضوعية والشمولية.

ففى مقال مطول حمل عنوان (العلماء والتعليم) عرض النديم فى مقدمته ما آل إليه حال الأزهر وطلابه والتعليم فيه، ثم قدم تصوراً متكاملاً مكونًا من أربعة وعشرين بندًا على هيئة مشروع لتطوير وإصلاح برامج التعليم فى الأزهر منها:

1- يتخذ شيخ الأزهر مفتشين على الطلبة والمشايخ بحيث يفتشون أوراقهم ويكتشفون أحوالهم وأخلاقهم، ويلاحظون أماكن نومهم وملابسهم.

2- امتحان التلامذة فى آخر السنة، وإعطاؤهم شهادات درجاتهم التى وصلوا إليها لتنشطيهم وحثهم على التقدم.

3- تخصيص أطباء للكشف على الطلبة من حين لآخر وتقديم العلاج على نفقة الأوقاف فى مستشفى يخصص لهم.

4- يرسل كل شيخ ببيان أسبوعى إلى شيخ الأزهر عن الطلاب المنقطعين عن الدراسة والمواظبين.

5- أن ينظر للعمل الذى أتقنه الطالب أكثر من غيره ويكتب فى شهادته أنه من مدرسى هذا الفن.

6- أن يدخل فى قانون الدراسة بالأزهر علم الهندسة والحساب والجغرافية والهيئة والحقوق والتاريخ واللغة العربية، وللأوقاف أن تستأجر معلمين لبعض هذه العلوم انتظارًا لأن يتأهل من الطلبة الأزهريين من يقوم بتدريسها فيستغنى عن غير الأزهريين.

7- إنشاء فروع للأزهر فى كل عاصمة مديرية.

8- أن يتقدم كل من يريد الالتحاق بالأزهر بطلب لشيخ الجامع الأزهر، وبعد الكشف عليه من الطبيب المعين للتأكد من خلوه من الأمراض المعدية، ويكون قد بلغ الثانية عشرة من العمر يمتحن فى القرآن والمتون ثم يحال على مدرسة من المدارس التأهيلية.

9-أن يرتب ديوان الأوقاف لكل مدرسة جملة من الجرائد العلمية والسياسية ليطلع الطلبة عليها فى وقت الفراغ من الدروس [222]، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك فيطالب فى موضع آخر بعمل جريدة علمية خاصة بالأزهر لنشر ما يكتبه الطلبة من الفوائد والمسائل العلمية، وحتى يتم النظام المراد يرى أن يكتفى الطلبة بالجرائد العلمية الموجودة ولهم نشر ما يسنح لهم فيها [223] .

11-دروس تربية البنين وتربية البنات:

إذا كان من الممكن النظر إلى المحور السابق من محاور الدراسة باعتباره يتناول التربية والتعليم على المستوى النظامى فإنه يمكن النظر إلى المحور الحالى باعتباره يتناول التربية والتعليم على المستوى غير النظامى. حيث عنى النديم بفتح مدرسة للبنين ومدرسة للبنات على صفحات مجلة الأستاذ، وقد كان هذان التعبيران عنوانين لعدد من مقالاته التى أخذت شكل محاورات بينه أو على لسانه وبين أولاد أو بنات أو أمهات، مثل: مدرسة البنين (نديم وحافظ) [224]، مدرسة البنين (كامل وحافظ) [225]، أما مدرسة البنات فكانت على شكل محاورات باللهجة العامية عكس ما كان عليه حال محاورات مدرسة البنين التى جاءت بالفصحى، وحملت عناوين، مدرسة البنات (زاكية ونفيسة) [226] ، مدرسة البنا (حفصة وبنتها سلمى) [227] ، مدرسة البنات (بهانة وست البلد) [228]، مدرسة البنات (شريفة وبهية) [229]، وقد جاءت هذه المحاورات كلها متسقة مع الدور الذى اختطه النديم لنفسه (كأستاذ) لتعليم الأمة، ومع ما آمن به دوماً من أن الصحف مدارس للتهذيب والتعليم.

وفى المحاورات التى حملت عنوان (مدرسة البنين)، وكانت بالفصحى، ركز النديم فى دروسه فيها على لفت نظر فتاه إلى الاهتمام بالنظافة الشخصية والنظافة العامة، وتنظيم مواعيد الأكل والنوم، وتعليم الصلاة، ولا يفوت النديم فى هذا الخصوص أن يعطى إشارة إلى فتاه بأن هذا الأمر يخص كذلك "رفيقك بطرس، يلزمه ينظف نفسه ويصلى على حسب اعتقاده وقواعد دينه، فإن الشخص الذى لا دين له لا ذمة له" [230]، وتتكرر هذه الإشارة فى محاورة تالية، عندما يسأل الفتى النديم هل أحكام وقواعد الطهارة "تلزم بطرس ورحمين صاحبى" فيرد النديم بأن هذه من أحكام الدين الإسلامى "أما بطرس ورحمين فإن لكل منهما رئيساً دينياً يأخذ عنه أمور دينه ويعلمه الواجب عليـــه، إنمـــا النظافة الاعتيادية تلزمهما كما تلزمك، لأجل حفظ صحتهما وعدم تضرر الناس منهما" [231] .

وفى محاورات مدرسة البنين أيضاً يوجه النديم إلى خطورة إلحاق الأبناء بالمدارس الأجنبية التى انتشرت فى مصر فى ذاك الوقت، لخطورتها على قيم وعادات وتقاليد المصريين بل وعلى دينهم

يستوى فى ذلك المسلم والمسيحى، وهنا يوجه النديم النصح لفتاه فيقول "الذى يلزمك أن تحافظ على دينك وتخبر أباك بالحاصل فى المدرسة من تعليمك غير دينك، وتقول لشنودة يخبر والده أيضاً....، حيث كان شنودة على المذهب الأرثوذكسى ونقله المعلمون إلى المذهب البروتستانتى، وكان نخله بروتستانتى والآن نقله الجزويت" (232) .

أما مدرسة البنات فقد حظيت باهتمام أكبر من النديم، سواء من حيث عدد الدروس التى قدمت من خلال المحاورات، وشمول وتعدد موضوعاتها، أو المساحة التى احتلتها من صفحات مجلة الأستاذ، فضلاً عن توجيهها باللهجة العامية، وقد يرجع ذلك إلى إحساس النديم بضآلة الفرص المتاحة لتعليم البنت وانتشار الأمية بين الأمهات، وهو ما سبق له الإشارة إليه قبل هذه المحاورات بعشر سنوات على صفحات مجلة التنكيت والتبكيت بقوله "ما ضر الأبناء إلا جهل الأمهات وتربيتها الأطفال على الترهات، فلو ذاقت الأم لذة المعرفة لشب رضيعها على أحسن صفة" (233).

ويستهل النديم محاوراته فى مدرسة البنات بسؤال توجهه واحدة من أطراف الحوار إلى إحدى الصغيرات الملتحقة بمدرسة عما تتعلمه فى المدرسة، فتجيب الفتاة "أتعلم القراءة والكتابة والفرنساوى والخياطة والبيانو، وعندنا ناس يتعلموا الانجليزى والرقص الأفرنجى "باعتبارها من "ضمن التمدن الجديد"، فيستهجن النديم ذلك على لسان المحاورة "بدل ما يعلموا الواحدة لغة أجنبية يعملوها لغتها وأمور دينها ويعرفوها تربية الأولاد وترتيب البيت..."، وبعد أخذ ورد بين أطراف المحاورة تقتنع الصغيرة فى النهاية بوجهة نظر محاورتها وتقول "أنا رايحة أقول لأبويه أنا يابا رايحـة اتعـلم القـراءة والخياطة وشغل اليد وأبطل تعليم الفرنساوى والرقص الأفرنجى والبيانو" (234) .

وتتضمن المحاورة الثانية فى مدرسة البنات توجيهات تربوية من أم إلى ابنتها (حفصة وبنتها سالمة) نحو إدارة شئون منزلها وتنظيمه ونظافته عندما تستقل بحياتها، وأساليب حفظ الطعام، وغيرها من التفاصيل الدقيقة مثل "....واوعى تخلى نحاسك من غير بياض كل شهر أحسن النحاس يا بنتى فيه جنزاره تموت"، "... ولا تحطيش روايح فى أودة النوم زى ورد ولا ياسمين ولا فل أحسن دا بطال على النايم"، وتستمر المحاورة على هذه الوتيرة إلى أن تصل إلى نهايتها على وعد من الأم أن تستكمل هذه الدرس فى أسبوع تال" حطى الكلمتين دول فى ودنك والجمعة الجاية اعلمك كمان حاجة، أو كل جمعة تتعلمى شوية لما تبقى أوسطى فى كله" (235) .

وتتواصل دروس تربية البنات فى محاورة تالية، وتتركز فيها نصائح وتوجيهات الأم لابنتها بواجباتها نحو زوجها وأبنائها ونظافتهم ونظافة ملبسهم، وهنا وكعادة النديم لا تفوته الفرصة للإشارة إلى القضية التى كانت تشغله دوما وهى الوحدة الوطنية واحترام الحرية الدينية، حيث تسأل الفتاة

أمها فى المحاورة "وحنونه يلزمها دا كله ولا ما يلزمهاش علشان أقول لها تبقى عارفة الواجب عليها للراجل "فيرد النديم على لسان الأم "شوفى يا بنتى كل اللى أعلمه لك من أمور البيت وتربيه والواجب عليك للراجل واللازم لأولادك، واللازم للبسك وفرشك، يلزم تعليمه لحنونه فإنها زيها زيك بس نفترق بالدين، أنت مسلمة وهى نصرانية، فاللى أعلمه لك من أمور دينك أعرفيه لوحدك، وهى بتتعلم أمور دينها من القسيس وأمها كمان بتعلمها على قد ما تعرف....، فإن الغسيل ما فيهش نصرانية ومسلمة، دا واجب على كل واحد ينضف نفسه...".

وبعد أن تستطرد الأم فى تعليم ابنتها بعض تعاليم دينها الاسلامى توجه لابنتها نصيحة"... إن كان حد يجيب سيرة الأنبيا التانيين قدامك أوعى تعيبى فى واحد منهم أحسن كلهم خيرنا وبركتنا وأسيادنا، يوم من دول تقول لك حنونه سيدنا عيسى تقومى تعيبى فيه بكلمة تفكرى، دا نبى عندنا زى سيدنا محمد، وربنا نزل عليه كتاب اسمه الانجيل، وكان مشيه زى مشى النبى بتاعنا، وكان لطيف يخاطب الناس باللى يعرفوه ويلاطفهم كتير قوى، وعمره ما شتم حد ولا عمل حاجة تغضب ربنا، لحد ما رفعه ربنا للسما ما بطل وعظ الناس ولا نصيحتهم ولا رجع عن تعليمهم الأمور الطيبة، فاللى يعيب فيه منا يا مسلمين يكفر"....، وتستطرد الأم "يا بنتى كل إنسان على دينه، وليه انتى تعيبى فى دينها ولا هيا تعيب فى دينك، لانتى رايحة تبقى نصرانية ولا هيا رايحة تبقى مسلمة، وبس تخسروا بعض وتصيروا أعادى على قلة فايدة...، وتملى اتكلموا فى الخياطة وشغل الإبرة والمنسج وحاجة البيت ولا تتكلموش فى الديانة...، وخليك ويا رفقاتك البنات بالأدب والحشم أحسن دا الكمال ما فيش أحسن منه" [236] .

وفى محاورة أخرى من محاورات مدرسة البنات، ولكنها هذه المرة بين سيدة ريفية وأخرى حضرية (بهانة وست البلد)، تلتمس الريفية من الأخرى المشورة فى تربية ابنها فتقول "....معانا حتة عيل ما كناش عارفين نربيه إزاى"، فترد المرأة الأخرى "بقى شوفى يا ست البلد يختى، انتم يا فلاحين ما تعرفوش الوساخة من النضافة، والواحدة منكم تفوت ابنها يدعفل فى التراب... ودا كله من عدم تربيتكم" [237].

محاور أخرى فى مجال التربية الشعبية:

فضلاً عن المحاور سالفة الذكر والتى تمثل مضامين التربية الشعبية عند عبد ا النديم، كانت هناك محاور أخرى ولكنها لم تحظ بنفس القدر من الاهتمام الذى حظيت به المحاور السابقة سواء من حيث تكرار الكتابة فيها أو المساحة التى أتاحها النديم لهذه القضايا من صفحات مجلة الأستاذ،

ومن هذه القضايا التى استهدف منها النديم تربية الشعب تلك المتصلة بما يمكن أن نطلق عليه التربية الصحية، والتربية القانونية، والتربية المتحفية.

ففى مجال التربية الصحية عنى النديم برفع الوعى الصحى لدى أبناء وطنه، فينشر رسالة لأحد القراء يحذر فيها من لجوء بعض مصنعى الأغذية والحلوى لإضافة بعض مكسبات اللون والطعم إلى منتجاتهم مما يجعلها خطيرة وضارة بصحة من يتناولها خاصة من الأطفال، وما يمكن أن يصيبهم من أعراض وأمراض، ويعقب النديم على هذه الرسالة فيقول "فليحذر آكلو الحلوى من هذه السموم ولا تغرنهم المحسنات الظاهرة، فكم من مرض جلبته هذه الأشياء القتالة، وينسب المرض لغيرها لعدم بحث الآكلين فيها..." [238] .

وفى نفس إطار دروس التربية الصحية بنشر النديم على مدى عددين رسالة مطولة لأحد الأطباء المتخرجين من مدرسة قصر العينى تحت عنوان (حفظ الصحة)، وفى تقدمة النديم للرسالة ينوه إلى أنه "لما كان من أهم واجبات الوالدين معرفة سن الطفولية وكيفية تربية المولود وتنقله فى أطواره الابتدائية وعمل الوسائط الواقعية لصحته من العوارض، كتب الطبيب أحمد أفندى صادق رسالة فى هذا الباب، أحببنا نشرها لضرورة معرفة المربين بها" [239].

ومن اهتمامات النديم المتشعبة عنايته بتوجيه المواطنين وتوعيتهم بأساليب المطالب والحصول على حقوقهم، خاصة إذا كانت مع الكبراء فى المكانة الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما يمكن أن نعتبره درسًا فى التربية القانونية، ففى واحدة من محاوراته يقدم النصح والتوجيه على لسان أحد المتحاورين لرجل بسيط استولى أحد الكبراء على قطعة أرض تخصه بأن يلجأ للقضاء للحصول على حقوقه بدلاً من التماسه المساعدة من واحد آخر من الكبراء لرد حقوقه، حيث يرى النديم "أن هذا عهد جديد يعلو فيه شأن القضاة ونزاهتهم وعدالتهم"، وهنا يتساءل الرجل البسيط متعجباً "يعنى إذا رفعت عليه قضية أكسبها"، فيرد النديم على لسان المحاور الآخر "الناس دلوقت موش زى زمان، دلوقت افندينا عمل مجالس وقوانين وحط فيهم قضاة وحكمهم فى الكبير والصغير والضعيف والعنتيل....، أوعا تصدق أن واحد يترجا القضاة ويقبلو منه غير الحق، القضاة دلوقت جنس تانى، بياخدوا ماهيات كفاية وماشيين على الحق تملى وعندهم الكير زى الصغير... روح أعمل عليه قضية وشوف الحكومة تخلصهم لك يا فقير ولا لأ، هو فيه دلوقت نهب ولا ظلم... إحنا دلوقت فى زمن القوانين المحاكم" [240] .

كما اهتم النديم بتوعية أبناء وطنه بتاريخ أجدادهم الضارب فى أعماق التاريخ، وتدخل كتاباته فى هذا الخصوص، تحت ما يمكن أن نطلق عليه (التربية المتحفية)، حيث يرصد النديم صدور كتاب

جديد لأحد الباحثين المصريين عنوانه (الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج على متحف الجيزة)، وينوه النديم إلى أن المتحف هو دار الآثار المصرية التى هى اللسان الصادق فى إظهار تاريخ قدماء المصريين وما كانوا عليه من المدنية والحضارة والتقدم فى العلوم والصناعة، وبرغم مرور 32 عاماً على تأسيس المتحف فقد لاحظ النديم أنه لا علم للمصريين بما فيه فى حين يعلم كل فرنسى بذلك، ومن هنا جاء هذا الكتاب الجديد ليشير إلى محتويات المتحف وتاريخ كل قطعة من آثاره، ونشراً للفائدة يعلن النديم عزم مجلة الأستاذ نشره على هيئة ملازم هدية للمشتركين قاصداً من وراء ذلك وقوف المصريين على تاريخ أمة سبقت سكان الأرض إلى كل فضيلة وفتحت باب المدنية من نحو سبعين قرنا من الزمان [241] .

وفى نفس الإطار، وفى موضع آخر يثنى النديم على جهد جماعة من طلبة دار العلوم فى جمع كتاب هو حصيلة رحلة لهم إلى الصعيد ضمنوا فيه الآثار والمبانى والصحارى والأماكن القديمة التـى يهـم المتفرج معرفتها وجاءت خلاصة الرحلة فى كتاب عنوانه "القول المفيد فى آثار الصعيد" [242] .

نتــائـج البـــحث

يمكن تناول نتائج البحث وفقاً للتصنيف التالى:

أ-النتائج العامة للبحث فى فكر عبد ا النديم التربوى

ب-نتائج الدراسة التحليلية لمضامين التربية الشعبية فى مجلة الأستاذ

أ-النتائج العامة للبحث فى فكر النديم التربوى:

1-أظهرت الدراسة أن التعليم كان دائماً المشروع القومى لمصر، تلجأ إليه عندما يقيد لها من مفكريها وقادتها من يوقنون ويؤمنون بأنه السبيل إلى الرقى والتقدم وإسراع الخطى نحوهما، كما تبرز الدراسة أهمية دور القطاع الأهلى ومؤسسات المجتمع المدنى فى استكمال الجهد الرسمى والحكومى الذى لا يمكنه الوفاء بكل طموحات الشعب واحتياجاته من التعليم، شريطة أن يكون التعليم ومؤسساته بمنأى عن استهداف الربح.

2-أوضحت الدراسة الجذور التاريخية لبعض القضايا والمشكلات التربوية فى الواقع الحالى، مثل انتشار التعليم الأجنبى والمدارس الأجنبية، والتعليم باللغات الأجنبية على حساب اللغة القومية، أثر الثقافات الوافدة على الهوية الثقافية المصرية ومنها استدماج البعض لقيم وعناصر الثقافة الوافدة ومن مظاهره تقليد ومحاكاة الأجانب فى أنماط سلوكهم وحياتهم، وشيوع نمط الاستهلاك الترفى دون قاعدة إنتاجية سليمة....

3-أظهرت الدراسة أن دروس النديم لم تنته صلاحيتها، وأن بعض أفكاره ومقترحاته يمكن البناء عليها والاسترشاد بها، خاصة إذا اعتبرنا الليلة أشبه بالبارحة، فما زالت قوى التدخل على عهدها منذ عصر النديم فى أواخر القرن التاسع عشر تلعب على وتر تفتيت الوحدة الوطنية كتكئة للتدخل فى شئون مصر، ولا زالت بعض الأيدى الخفية تثير الفتن، وتستهدف عقول وأجساد أبنائها وشبابها بنشر الفكر المتطرف والمخدرات والرذيلة، ولا زالت جهود التنمية والإنتاج مهددة بغزو الأسواق بالمنتجات الترفيهية الاستهلاكية التى تستنزف المدخرات الوطنية وتصرفها عن طريق الإنتاج والتنمية.

4-أكدت الدراسة الحالية أن النديم لم يكن صاحب رأى تربوى فحسب وإنما صاحب فكر تربوى أيضاً، وهو ما أنكره عليه أحد أساتذة التربية فى دراسة سابقة بدعوى أن حياة النديم ومسيرته لم تكن

من الدعة حتى تتيح له ترف التفكير والتحليل والخروج بفكر تربوى [243] ، وتتضح معالم فكره التربوى فى وضوح مفهوم التربية لديه ووسائطها ومحتواها ومضامينها، وكذلك فى القضايا التربوية العديدة التى آثارها وتصدى لها بالتحليل والدراسة مثل اللغة القومية وأهمية العناية بها واقتراح طرق جديدة لتدريسها، وخطورة التعليم باللغات الأجنبية على الهوية الوطنية، ومواصفات المعلم وصفاته، وتحديده لجوانب تشيع الأستاذ ووضعه حدوداً لهذا التشيع، وتطوير برامج التعليم الزراعى والأزهرى فضلاً عن التعليم العام وقد جاء هذا الفكر والتحليل على خلفية إيمانه بأن خروج مصر من دائرة التأخر والتخلف والسير فى طريق التقدم والتحرر والاستقلال السياسى والاقتصادى رهن بطرق أبواب التعليم ونشره والتوسع فيه.

5- تشير نتائج الدراسة الحالية إلى أهمية توجيه الباحثين المزيد من عنايتهم نحو البحث التربوى التاريخى والمقارن، حيث لا زال هذا الميدان – على الأقل فى مصر – يطوى صفحات عديدة من الدروس والتجارب، وإذا كان البحث الحالى جاء كخطوة على الطريق، فإن فضل السبق –وللمفارقة – للتنبيه بأهمية الدراسة التاريخية والدراسة التاريخية والدراسة المقارنة للتعليم ونظمه يرجع إلى النديم، حيث توصل من خلال دراسته لحال أوربا فى السابق وحالها فى عصره إلى أن هناك "فرقاً عظيماً وتقدماً غريباً أوصلها إليه التربية والتعليم"، ومن ثم فإنه يتطلع إلى معرفة الدروب التى سلكتها أوربا فى هذا السبيل فيقول "إن النفس تشتاق لمعرفة الطرق التى تخلصت بها من أسر الجهل ووصلت بها إلى حرية العمل والقول"، ويأخذ على الكتابات العربية الشاملة فى هذا الخصوص قلتها وندرتها فيقول "ولا نجد من تواريخ التربية فيها إلا بعض كلمات يلتقطها الكتاب من لائحة أو واقعة تاريخية لا تفى بالمقصود، فكانت النفس متطلعة لكتاب شامل لقوانين التربية والتعليم فى كل مملكة أوربية ليتمكن الإنسان من المقابلة بين الأمم ويستنتج ما عساه أن ينتفع به أهل بلاده"، وهو ما وجده النديم فى بعض ما عربه وجمعه "العلامة الفاضل خادم وطنه الوزير الخطير على باشا مبارك، وقد بين حالة كل دولة وما كانت عيه من الانحطاط أيام الجهل، وما صارت إليه من العز والحضارة والقوى أيام تحليها بحلية المعارف"، ومن ثم قام النديم بتلخيص ونشر هذه الدراسة "تبصرة وذكرى لأولى الألباب وتنشيطاً لهمم الشرقيين وحثهم على المجاراة" [244].

ب- نتائج الدراسة التحليلية لمضامين التربية الشعبية فى مجلة الأستاذ

1- أظهرت الدراسة أننا إزاء وطنى فذ قاده حسه الوطنى إلى وضع يده على أهم مشكلات بلاده، فعمل على تشخيصها واقتراح حلول لها، مع تيقنه أن مواجهة هذه المشكلات لن يكتب لها النجاح

دون الركون إلى التربية بمفهومها الشامل، تربية للشعب كله لينفض عن نفسه غبار السلبية والتخلف والجهل.

2-إذا كان للتربية الشعبية جذورها التاريخية فى إطار الثقافة الشعبية، فقد أظهرت الدراسة الحالية أن الفضل يعود إلى النديم فى إبرازها وتعميقها مفهوما وهدفا وطريقة فى أواخر القرن الـ 19، وأن منهج التربية الشعبية لا زالت له صلاحيته ويمكن أن يكون له مردود إيجابى إزاء كثير من القضايا والمشكلات الآنية مثل قضايا التنمية والبيئة والسكان.....

3-بينت الدراسة التحليلية لمضامين التربية الشعبية فى مجلة الأستاذ أن تربية الشعب عند النديم ودروسه التهذيبية –كما كان يطلق عليها – امتدت واتسعت رقعتها لتشمل العديد من المحاور والأبعاد، وانعكس اهتمام النديم بها على تكرار الكتابة فيها أو المساحات التى خصصها لها فى إصداراته المختلفة وعلى رأسها مجلة الأستاذ، وقد أمكن تصنيفها فى الدراسة الحالية على النحو السابق الإشارة اليه تفصيلاً إلى: قضية الهوية الوطنية ودور اللغة العربية فى تعزيزها- الوحدة الوطنية والحريات الدينية – دور الصحف فى تربية الشعب – مؤسسات المجتمع المدنى ودورها فى ترقية المجتمع وتنميته – ثقافة المقاومة ونهج التحرر والاستقلال- تربية القيادات الإدارية والسياسية والإصلاح السياسى والإدارى- تشجيع الصناعة الوطنية وتحسين المنتج الوطنى- مواجهة الجهل والبدع والخرافات- التوعية بمضار الإدمان وتعاطى المخدرات- نشر التعليم واقتراح طرائق جديدة له، والحث على إنشاء المدارس.....

4-أوضحت الدراسة اهتمام النديم بتربية المرأة وتعليمها من منطلق إيمانه بأهمية دورها على الصعيدين الأسرى والمجتمعى، فعـلى صعيـد الأسرة اعتبر النديم "الأم فى البيت هى الأستاذ الأكبر" [245]، وعلى صعيد المجتمع لم ينكر عليها دورها فى مواجهة كثير من القضايا والمشكلات مثل الإدمان وانتشار المخدرات والمسكرات والجهل وانتشار البدع والخرافات، وكان من مؤشرات ذلك جعله المرأة محوراً وطرفاً فى العديد من محاوراته، وتبنيه إصدار مجلة خاصة بالمرأة، وتقديره لتصدى النساء للاشتراك فى العمل الاجتماعى وتجمعهن فى إطار جمعية أسمينها (جمعية الصيانة)، وإسهامه فى وضع نظامها الأساسى، حيث كتب يقول "وقد وضعت لتكون قانونا لسير الجمعية سأقدمه اليكن لتنظرن فيه وتقرروه بآرائكن" [246] .

5-جسدت الدراسة عناية النديم ببلورة وصياغة مفهوم ومنهج مستحدث لمقاومة ومواجهة الاحتلال والتوجه نحو التحرر والاستقلال، وهو ما أطلق عليه الباحث فى الدراسة الحالية (ثقافة المقاومة)، حيث كانت صياغة النديم لهذا المفهوم وتحديده وليد خبرته السابقة مع الثورة العرابية

وتجربة الاختفاء عشر سنوات، حيث تحول من طريق الثورة إلى المهادنة (الهدو والسكون)، وكان ديدنه فى ذلك إدراكه أن المواجهة المباشرة مع المحتل والشعب والوطن غير مستعدين لها ولا يمتلكان مقومات النصر فيها هو بمثابة انتحار لهذا الوطن وترف لا يستطيع تحمل تكاليفه وتبعاته، ومن ثم توصل إلى مفهوم المقاومة بصورتها التى صاغها سلفاً، ومن أدواتها عنده عدم الوقوف بباب الأجنبى، وأن يضع الوطنى يده فى يد أبناء وطنه، وأن يسهم فى النمو الاقتصادى ويشجع المنتج الوطنى، ومن خلال نشر العلم والتعليم وإنشاء المدارس، والإصلاح السياسى والإدارى وتربية القيادات السياسية والإدارية.....

6-أبرزت الدراسة الدور المنوط بالصحافة فى تربية الشعب وتغطية جوانب القصور والحرمان الثقافى والتعليمى لديه، وأكدت الدراسة أن الصحف على يد النديم لم تكن شأنا خاصاً بذوى المستويات الثقافية والتعليمية العليا، بل إنها يمكن أن تكون أداة مهمة لتربية المحرومين ثقافياً وتعليمياً إذا ما اهتمت بقضاياهم ومشكلاتهم وخاطبتهم بأسلوب يفهمونه ويجذبهم ويقترب من مستواهم.

7-أظهرت الدراسة إيمان النديم بأهمية الفن بكافة صوره فى تنوير الشعب وتربيته وتشكيل وجدانه، حيث كان الفن عنده رسالة هادفة لترقية المشاعر والأحاسيس والفكر وتنمية الروح الوطنية، يستوى فى ذلك لديه الفن المسرحى والغنائى.

الهوامش

1-إبراهيم العدل المرسى: قضايا التعليم فى فكر عبد ا النديم، بحوث ندوة الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاة عبد ا النديم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص.ص 1-3.

2-فيصل دراج: الحداثة والوعى التاريخى (قراءة لعبد ا النديم ومحمد المويلحى)، فى كتاب "قضايا وشهادات عن الحداثة، النهضة، التحديث"، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، قبرص، صيف 1990، ص . ص 58-59.

3-محمود أمين العالم: مقومات المعاصرة فى فكر عبد ا النديم، بحوث ندوة الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاة النديم، مرجع سابق، ص . ص 264-265.

4-أحمد عبد الرحيم مصطفى: الاستعمار وحقوق الأمة فى فكر عبد ا النديم، المرجع السابق، ص 91.

5-عبد اللطيف حمزة: الصحافة المصرية فى مائة عام، المكتبة الثقافية، العدد 14، وزارة الثقافة والإرشاد القومى (الإقليم الجنوبى)، مصر ص . ص 122-126.

6-إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية (1798-1951)، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، 1951، 125.

7-محمد أحمد خلف ا : عبد ا النديم ومذكراته السياسية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1956، ص 55.

8-التنكيت والتبكيت، العدد الأول، 6 يونيو 1881، ص 3.

9-عبد اللطيف حمزة: مرجع سابق، ص . ص 53-55.

10-إبراهيم عبده: مرجع سابق، ص 126.

11-أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن، سلسلة تاريخ المصريين، ج1، العدد 83، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 146.

12-نجيب توفيق: عبد ا النديم خطيب الثورة العرابية (تقديم عبد الرحمن الرافعى)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1970، ص 156.

13-عبد ا النديم: قل موتوا بغيظكم، مجلة الأستاذ، العدد 7، فى 1892/10/4، فى الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العام للكتاب، ج1، ص 162.

14-عبد المنعم الجميعى: دراسة تحليلية لمجلة الأستاذ، المرجع السابق، ص 8.

15-أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن، ج2، العدد 84، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 365.

16-عبد الحميد حواس: عبد ا النديم (وعى التحرير من الفولكلور إلى الثقافة الوطنية)، بحوث ندوة الاحتفال بمرور مائة عام على وفاة النديم، مرجع سابق، ص 130.

17-محمد عمارة: الانتماء الثقافى لعبد ا النديم، المرجع السابق، ص .ص 209-210.

18-إبراهيم العدل المرسى: قضايا التعليم فى فكر عبد ا النديم، مرجع سابق.

19-عبد الفتاح جلال: آراء عبد ا النديم التعليمية، بحوث ندوة الاحتفال بمرور مائة عام على وفاة النديم، مرجع سابق، ص 143.

20-عبد الحميد حواس: مرجع سابق، ص . ص 130-131.

21-المرجع السابق، ص 131.

22-عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى، القاهرة، 1975، نقلاً عن: عبد المنعم الجميعى، مرجع سابق، ص 33.

23-على الحديدى: عبد ا النديم خطيب الوطنية، سلسلة أعلام العرب، د.ت، ص 331، نقلا عن المرجع السابق، ص . ص 6-7.

24-عبد ا النديم: تحية لبلادى، مجلة الأستاذ مرجع سابق، العدد الأول، فى 1892/2/24، ص . ص 16-17.

25-المرجع السابق، ص 18.

26-المرجع السابق: ص 16.

27-عبد ا النديم: سؤال وجواب، مجلة الأستاذ، العدد 27، فى 1893/2/21، ص 646.

28-ـــــــــ: باب اللغة، مجلة الأستاذ العدد 20، فى 1893/1/3، ص 468.

29-ـــــــــ: عقد اتفاق، مجلة الأستاذ، العدد 10، فى 1892/10/25، ص 226.

30-ـــــــــ: رأى جمهور من الأفاضل، مجلة الأستاذ، العدد 11، فى 1892/11/1، ص. ص 226.

31-على أسعد وطفة: علم الاجتماع التربوى وقضايا الحياة التربوية المعاصرة، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1998، ص . ص 291-293.

32-عبد ا النديم: طريق الوصول إلى الرأى العام، مجلة الأستاذ، العدد 13 فى 1892/11/15.

33-عبد ا النديم: فريق التمثيل العربى، مجلة الأستاذ، العدد 21، فى 1893/1/10، ص. ص 501-502.

34-المرجع السابق، ص. ص 502-503.

35-عبد ا النديم: جمعيتا المسامرة والفتوح الخيرية، مجلة الأستاذ، العدد 32، فى 1893/3/28، ص 760.

36- ـــــــ: التشخيص العربى، مجلة الأستاذ، العدد 33، فى 1893/4/4، ص 774.

37-ـــــــ: هناء المحسن، مجلة الأستاذ، العدد 34، فى 1893/4/11، ص 806.

38-نجيب توفيق: عبد ا   النديم خطيب الثورة العرابية، مرجع سابق، ص 127.

39-عبد ا   النديم: تحية لبلادى، مجلة الأستاذ، العدد الأول، فى 1892/8/24، ص 16.

40-ـــــــ: مقدمة مدح ومعرفة جميل، المرجع السابق، ص 7.

41-المرجع السابق، ص 9.

42-ـــــــــ: طريق الوصول إلى الرأى العام، مجلة الأستاذ، مرجع سابق، ص 294.

43-ـــــــــ: التماس عفو، مجلة الأستاذ، العدد 3، ص 50.

44-ـــــــــ: التماس، مجلة الأستاذ، العدد الأول، ص 24.

45-ـــــــــ: التماس عفو، مرجع سابق، ص 50.

46-ـــــــــ: أسف ورجاء، مجلة الأستاذ، العدد 31، ص 754.

47-ـــــــــ: باب التهذيب، مجلة الأستاذ، العدد 3، ص 56.

48-المرجع السابق، ص 60.

49-عبد ا   النديم: انتقلب الأمم بتقلب الأحوال ونحن نحن، مجلة الأستاذ، العدد 18، فى 1892/12/20، ص. ص 412-414.

50-المرجع السابق، ص 416.

51-المرجع السابق، ص 421.

52-عبد ا   النديم: الحياة الوطنية، مجلة الأستاذ، العدد الثانى، 1892/8/30، ص. ص 25-41.

53-المرجع السابق، ص 32.

54-المرجع السابق، ص 40.

55-عبد ا   النديم: إضاعة اللغة تسليم للذات، الأعداد الكاملة لمجلة التنكيت والتبكيت، العدد الثانى فى 1981/6/19، مركز وثائق وتاريخ مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، ص 19.

56-المرجع السابق، ص 472.

57-عبد ا   النديم: كلمة غيور على لغته، المرجع السابق، العدد الخامس، فى 1881/7/10، ص 72.

58-ـــــــ: درس تهذيبى، المرجع السابق، العدد 14، فى 1881/9/18.

59-ـــــــ: اللغة والإنشاء، مجلة الأستاذ، العدد 8، فى 1892/10/11، ص 169.

60-ـــــــ: باب اللغة، مجلة الأستاذ، العدد 20، فى 1893/1/3، ص 469.

61-المرجع السابق، ص 472.

62-عبد ا   النديم: اللغة والإنشاء، مرجع سابق، ص . ص 178-179.

63-ـــــ: باب اللغة، مرجع سابق، ص . ص 474-475.
64-المرجع السابق، ص 471.
65-عبد ا النديم: المساواة بين البنين، مجلة الأستاذ، العدد 25، فى 1893/2/7، ص . ص 592-593.
66- ـــــ: اللغة والإنشاء، مرجع سابق، ص 180.
67-ـــــ: مجتمع اللغة العربية بمصر، مجلة الأستاذ، العدد 29، 1893/3/7، ص 675.
68-المرجع السابق، ص 681.
69-المرجع السابق، ص . ص 685-686.
70-عبد ا النديم: الجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى، مجلة الاستاذ، العدد 4، فى 1892/9/13، ص 74.
71-المرجع السابق، ص 75.
72-المرجع السابق ص. ص 77-78.
73-عبد ا النديم: إن المساجد ، مجلة الأستاذ، العدد 19، فى 1892/12/27، ص 442.
74-ـــــ: منتهى الحرية، مجلة الأستاذ، العدد 20، فى 1893/1/3، ص 481.
75-ـــــ: المسلمون والأقباط، مجلة الأستاذ، العدد 31، فى 1893/3/21، ص 750.
76-المرجع السابق، ص 749.
77-عبد ا النديم: هذا عندكم فما مقابله عندنا، مجلة الأستاذ، العدد 35، فى 1893/4/45، ص . ص 189.
78-المرجع السابق، ص . ص 824-825.
79-المرجع السابق، ص . ص 824-825.
80-المرجع السابق، ص . ص 826-827.
81-عبد ا النديم: مدرسة البنين، مجلة الأستاذ، العدد 9، فى 1893/10/18، ص 208.
82-ـــــ: الجرائد، مجلة الأستاذ، العدد 9، فى 1893/10/18، ص 208.
83-المرجع السابق.
84-المرجع السابق، ص 209.
85-المرجع السابق.
86-عبد اله النديم: وظائف العلماء فى العالم (طبقة الكتاب والمنشئين)، مجلة الأستاذ، العدد 12، فى 1892/11/8.
87-ـــــ: لم اختلفت كلمتنا إذا اتحدت وجهتنا، مجلة الأستاذ، العدد 17، فى 1892/1/13 ص . ص 387-388.

88-ـــــ: عقد اتفاق، مجلة الأستاذ، العدد العاشر، فى 1892/10/25، ص 226.

89-ـــــ: التنكيت والتبكيت، الأعداد الكاملة مركز وثائق وتاريخ مصر، مرجع سابق، العدد الأول، فى 1881/6/6، ص 8.

90-ـــــ: باب اللغة، مجلة الأستاذ، العدد 20، فى 1893/1/3، ص 468.

91-ـــــ: دستور، مجلة الأستاذ، العدد 6، فى 1892/9/27، ص 121.

92-ـــــ: قل موتوا بغيظكم، مجلة الأستاذ، العدد 7، فى 1892/10/4، ص 162.

93-ـــــ: أسف ورجاء، مجلة الأستاذ، العدد 31، فى 1893/3/21، ص 751.

94-ـــــ: تحية وسلام، مجلة الأستاذ، العدد 42، فى 1893/6/13، ص . ص 1028-1029.

95-ـــــ: الهلال، مجلة الأستاذ، العدد الثانى، فى 1892/8/30، ص. ص 42-43.

96-ـــــ: الفتاة، مجلة الأستاذ، العدد 14، فى 1892/11/22، ص . ص 334-335.

97-عبد ا النديم: تقاريظ (حرية المطبوعات بمصر)، مجلة الأستاذ، العدد 17، فى 1892/12/13، ص . ص 404-405.

98-المرجع السابق، ص 406.

99-عبد ا النديم: إحصاء الجرائد، مجلة الأستاذ، العدد 20، فى 1893/1/3، ص 478.

100-ـــــ: تقديم لمقالة (متى يستقيم الظل والعود أعوج)، مجلة الأستاذ، العدد 29، فى 1893/3/7، ص 686.

101-ـــــ: مجلة الأستاذ، العدد 33، فى 1893/4/4، ص 776.

102-ـــــ: المربى، مجلة الأستاذ، العدد 34، فى 1893/4/11، ص 804.

103-المرجع السابق، ص 805.

104-المرجع السابق.

105-عبد ا النديم: المرافعة الوطنية، مجلة الأستاذ، العدد الخامس، فى 1892/9/2، ص. ص 97-107، وأيضاً: العدد 8 فى 1892/10/11، ص. ص 184-189.

106-ـــــ: المرافعة الوطنية، العدد الخامس، مرجع سابق، ص 97.

107-المرجع السابق، ص . ص 98-100.

108-المرجع السابق، ص . ص 187-188.

109-المرجع السابق، ص . ص 188-189.

110-عبد ا النديم: طريق الوصول إلى الرأى العام، مرجع سابق، ص 289.

111-المرجع السابق، ص 290.

112-المرجع السابق.

113-المرجع السابق، ص. ص 291-292.

114-المرجع السابق، ص . ص 292.

115-المرجع السابق، ص . ص 293.

116-المرجع السابق، ص . ص 294.

117-عبـد ا النـديم: جمعيـة الكمـال بـأسيوط، مجلة الأستاذ، العدد 14، فى 1892/11/22، ص. ص 232-234.

118-ـــــ: جمعية العروة الوسطى بالاسكندرية، مجلة الأستاذ، العدد 16، فى 1892/12/6، ص. ص 379-380.

119-عبد ا النديم: تقرير من جمعية العروة الوسطى بالأسكندرية، مجلة الأستاذ، العدد 30، فى 1893/3/14 ص. ص 727-728.

120-ـــــ: جمعيتا المسامرة والفتوح الخيرية، مرجع سابق، ص . ص 759-760.

121-ـــــ: لطيفة ودميانة، مجلة الأستاذ، العدد 30، فى 1893/3/14 ص. ص 727-728.

122ـــــ: فصل فى الأخلاق والعادات، مجلة الأستاذ، العدد الأول، فى 1892/8/24 ص 11.

123-ـــــ: إنما يقبل النصيحة من وفُق، مجلة الأستاذ، العدد 16، فى 1892/12/6 ص. ص 361-363.

124-ـــــ: الحياة الوطنية، مرجع سابق، ص . ص 28-32.

125-ـــــ: لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا، مجلة الأستاذ، العدد 22، فى 1893/1/17 ص. ص 507-533.

126-المرجع السابق، ص . ص 508-509.

127-المرجع السابق، ص 509.

128-المرجع السابق، ص 510.

129-المرجع السابق، ص . ص 511-512.

130-المرجع السابق، ص 14.

131-المرجع السابق، ص. ص 518-519.

132-المرجع السابق، ص 519.

133-المرجع السابق، ص 520.

134-المرجع السابق، ص 522.

135-المرجع السابق، ص . ص 523-524.

136-المرجع السابق، ص. ص 528-529.

137-المرجع السابق، ص. ص 529-530.

138-المرجع السابق، ص530.

139-عبد ا النديم: الحقوق المقدسة، مجلة الأستاذ، العدد 23، فى 1893/1/24، ص 544.

140-ـــــــ: نصيحة مخاص فى خدمة وطنه، وأخوانه، المرجع السابق، ص 545.

141-المرجع السابق، ص 456.

142-عبد ا النديم: نصيحة، مجلة الأستاذ، العدد 25، فى 1893/2/7، ص 589.

143-ــــــ: هذه يدى فى يد من أضعها، مجلة الأستاذ، العدد 29، فى 1893/3/7، ص 695.

144-المرجع السابق، ص.ص 695-696.

145-المرجع السابق، ص 698.

146-عبد ا النديم: حرب الأقلام بجيوش الأوهام، مجلة الأستاذ، العدد 34، فى 1893/4/11، ص . ص 794-795.

147-المرجع السابق، ص 799.

148-عبد ا النديم: اشتات الشرق وعصبيات أوربا، مجلة الأستاذ، العدد 20، فى 1893/1/3، ص 459-460.

149-المرجع السابق، ص . ص 460-461.

150-عبد ا النديم: مستقبل مصر، مجلة الأستاذ، العدد 25، فى 1893/2/7، ص 580.

151-المرجع السابق، ص 579.

152-المرجع السابق، ص 581.

153-المرجع السابق.

154-المرجع السابق، ص 582.

155-عبد ا النديم: بمن اقتدى إذا اختلفت الآراء، مجلة الأستاذ، العدد 33، فيى 1893/4/4، 761.

156-ـــــــ: مستقبل مصر، مرجع سابق، ص 581.

157-ـــــــ:بمن اقتدى إذا اختلفت الآراء، مرجع سابق، 761.

158-المرجع السابق، ص 763.

159-المرجع السابق، ص 763.

160-المرجع السابق.

161-المرجع السابق، ص 764.

162-المرجع السابق، ص 765.

163-المرجع السابق، ص 766.

164-عبد ا النديم: مطلب الطعام، مجلة الأستاذ، العدد 3، فى 1892/9/6، ص 51.

165-المرجع السابق، ص 53.

166-المرجع السابق، ص 55.

167-المرجع السابق، ص 56.

168-عبد ا النديم: المعلم حنفى ونديم، نفس المرجع السابق، ص 65.

169-المرجع السابق، ص 66.

170-المرجع السابق، ص . ص 67-68.

171-المرجع السابق، ص 69.

172-عبد ا النديم: بضاعتنا ردت إلينا، مجلة الأستاذ، العدد 27 فى 1892/10/4، ص 158.

173-المرجع السابق، ص.ص 158-159.

174-عبد ا النديم: مصنوع البلاد، مجلة الأستاذ، العدد 37، فى 1893/5/9، ص 894.

175-المرجع السابق، ص 895.

176-عبد اله النديم: ورشة حسبوا أفندى محمدا بالأسكندرية، مجلة الأستاذ، العدد 40، فى 1893/5/30، ص . ص 972-973.

177-ـــــ: مجلة الأستاذ، العدد 25 فى 1893/2/7، ص . ص 595-597.

178-ـــــ: الطرق وما فيها من البدع، مجلة الأستاذ، العدد 34، فى 1893/4/11، ص 786.

179-المرجع السابق، ص.ص 787-788.

180-المرجع السابق، ص.ص 789-790.

181-عبد ا النديم: الطرق وإصلاحها، مجلة الأستاذ، العدد 35، فى 1893/4/25، ص 828.

182-المرجع السابق، ص 842.

183-عبد ا النديم: مدرسة البنات (شريفة وبهية)، مجلة الأستاذ، العدد 17، فى 1892/12/13، ص. ص 395-397.

184-ـــــ: تحية بلادى، مجلة الأستاذ، العدد الأول، فى 1892/8/24، ص.ص 20-21.

185-عبد ا النديم: فكاهات، مجلة الأستاذ، العدد الثانى، فى 1892/8/30، ص 46.

186-المرجع السابق، ص . ص 47-48.

187-عبد ا النديم: حنيفة ولطيفة، مجلة الأستاذ، العدد السادس، فى 1892/9/27، ص. ص 132-133.

188-المرجع السابق، ص 138.

189-المرجع السابق، ص 134.

190-عبد ا النديم: لطيفة ودميانة، مجلة الأستاذ، العدد السابع، فى 1892/10/4، ص. ص 149-151.

191-المرجع السابق، ص 156.

192-المرجع السابق، ص 157.

193-عبد ا النديم: حنيفة ولطيفة، مجلة الأستاذ، العدد 12، فى 1892/11/8، ص 271.

194-ــــــ:لطيفة ودميانة، مرجع سابق، ص 157.

195-ـــــ:عقد اتفاق، مجلة الأستاذ، العدد العاشر، فى 1892/10/25، ص . ص 225-228.

196-المرجع السابق، ص.ص 229-230.

197-المرجع السابق، ص 231.

198-عبد ا النديم: بشارة نجاح، مجلة الأستاذ، العدد الثامن، فى 1892/10/11، ص 190.

199-ـــــ: مجلة الأستاذ، العدد 11، فى 1892/11/1، ص 262.

200-ـــــ: حنيفة ولطيفة، مرجع سابق، ص 270.

201-المرجع السابق، ص 271.

202-عبد ا النديم: مجلة الأستاذ، العدد 21 فى 1893/1/10، ص488.

203-المرجع السابق، ص.ص 490-491.

204-المرجع السابق، ص 506.

205-عبد ا النديم: فكاهات مجلة الأستاذ، مرجع سابق، ص 48.

206-ــــ: افتتاح مدرسة الجمعية الخيرية بدمنهور، مجلة التنكيت والتبكيت، العدد الخامس، فى 1881/7/10، ص 84.

207-عبد ا النديم: التربية والتعليم: مجلة الأستاذ، العدد 37، فى 1893/5/9، ص 873.

208-ـــــ:آفة السكوت، مجلة التنكيت والتبكيت، العدد 12، فى 1881/9/4، ص 190.

209-ــــــ: المرافعة الوطنية، مجلة الأستاذ، مرجع سابق، ص 188.

210-ـــــ:تربية الأبناء، مجلة الأستاذ، العدد 9، فى 1892/10/18، ص 208.

211-ــــــ:مدرسة النيل الخيرية، مجلة الأستاذ، العدد 20، فى 1893/1/3، ص.ص 478-480.

212-ـــــــ: الزراعة فى مصر، مجلة الأستاذ، العدد 27، فى 1893/2/21، ص 628.
213-أحمد شفيق باشا: مذكراتى فى نصف قرن، مرجع سابق، ص 122.
214-نجيب توفيق: عبد ا النديم خطيب الثورة العرابية، مرجع سابق، ص 146.
215-ــــــ: الثائر العظيم عبد ا النديم: مرجع سابق، ص 79.
216-ــــــ: عبد ا النديم خطيب الثورة العرابية، مرجع سابق، ص 125.
217-عبد ا النديم: درس تهذيب مع تلميذ، مجلة التنكيت والتبكيت، العدد الرابع، فى 1881/7/3، ص.ص 53-55.
218-المرجع السابق، ص 54.
219-المرجع السابق، ص.ص 54-55.
220-عبد ا النديم: تربية الأبناء، مجلة الأستاذ، مرجع سابق، ص.ص 202-208.
221-ــــــ: الزراعة فى مصر، مجلة الأستاذ، مرجع سابق، ص . ص 628-629.
222-ــــــ العلماء والتعليم، مجلة الأستاذ، العدد 26، فى 1893/2/14، ص.ص 603-619.
223-ـــــــ: سؤال وجواب، مجلة الأستاذ، العدد 27، فى 1893/2/21، ص 646.
224-ـــــــ: مجلة الأستاذ، العدد 13، فى 1892/11/15، ص 295. وأيضاً: العدد 15 فى 1892/11/29، ص 353، العدد 16 فى 1892/12/6، ص 364.
225-ــــــ: مجلة الأستاذ، العدد 17، فى 1892/12/13، ص 391.
226-ــــــ:مجلة الأستاذ، العدد 11، فى 1892/11/1، ص 246.
227-عبد ا النديم: مجلة الأستاذ، العدد 13، فى 1892/11/15، ص 298. وأيضاً: العدد 15، فى 1892/11/29، ص 356.
228-ــــــ:مجلة الأستاذ، العدد 16، فى 1892/12/6، ص 369.
229-ــــــ:مجلة الأستاذ/ العدد 17، فى 1892/12/13، ص 395.
230-ــــــ:نديم وحافظ، مجلة الأستاذ، العدد 13، مرجع سابق، ص 297.
231-المرجع السابق، العدد 15، ص 355.
232-المرجع السابق، العدد 17، ص 394.
233-عبد ا النديم: التنكيت والتبكيت، مرجع سابق، العدد 5، فى 1881/7/10، ص 84.
234-ــــــ:مدرسة البنات (زاكية ونفيسة)، مرجع سابق، العدد 11، ص .ص 246-249.
235-ــــــ:مدرسة البنات (حفصة وبنتها سالمة)، العدد 13، مرجع سابق، ص .ص 298-302.

236-ـــــ:مدرسة البنات (حفصة وبنتها سالمة)، العدد 15، مرجع سابق، ص . ص 356-360.

237-ـــــ:مدرسة البنات (بهانة وست البلد)، العدد 16، مرجع سابق، ص .ص 369-370.

238-ـــــ:المحافظة على الصحة واجبة، مجلة الأستاذ، العدد 27، فى 1893/2/21، ص.ص 638-639.

239-ـــــ:حفظ الصحة، مجلة الأستاذ، العدد 41، فى 1893/5/30، ص.ص 953-958.

وأيضاً: العدد 42 فى 1893/6/6، ص.ص 995-998.

240-ـــــ: أبو دعموم والشيخ مرعى، مجلة الأستاذ، العدد 7، فى 1892/104، ص. ص 148-149.

241-ـــــ:الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج على متحف الجيزة، مجلة الأستاذ، العدد 32، فى 1893/3/28، ص.ص 756-757.

242-ـــــ: القول المفيد فى آثار الصعيد، مجلة الأستاذ، العدد 40، فى 1893/5/30، ص 974.

243-عبد الفتاح جلال: مرجع سابق.

244-عبد ا النديم: التربية والتعليم، مجلة الأستاذ، مرجع سابق، ص . ص 873-874.

245-ـــــ:حنيفة ونديم، مجلة الأستاذ، العدد 27، فى 1893/2/21، ص 650.

246-المرجع السابق.